صورة لبغداد
في الشعر العراقي المعاصر ١٩٢٠-١٩٧٠
رمزاً للوحدة العربية

الدكتورة
مليحة عزيز حسون
قسم اللغة العربية - جامعة الكوفة

المقدمة:

إن للكلمة المقروءة أو المسموعة تأثيراً قوياً فى النفس البشرية وإذا ما أخذت الكلمة شكلاً فنياً متكاملاً: قصيدة ملهمة – مثلاً– كان تأثيرها في النفوس بالغاً وعميقاً، فإن كان موضوع الأثر الأدبي أصبح ذلك الأدب سلاحاً نضالياً ماضياً. وكان له في الجهد الجماعي للأمة آثار قوية وعمل عملة فى الوحدة المنشودة بين المواطنين حتى ولو لم يقصد منشئوه هل أنشأه إلى غرض آخر وراء الإبداع والتعبير الفنى[١].

ولكي تكون هذه التجربة الأدبية رائعة وخالدة يجب إن تفوح منها ((رائحة الإنسان فهي دم وخيال وفكر تتدفق منها)) [٢]. ومن هنا خضع الأدب بشعره ونثره إلى اختبار شاق وجابه شتى الصعوبات والعقد والنظم من أجل تعطير حياته بهذه الرائحة العميقة التي تحببه إلى القلوب والنفوس الظمأى المتعطشة إلى مشاركة وجدانية صادقة أو إلى أحاسيس واقعية تتجسد فيها الحقيقة وقد صدق سقراط عند ما قال: ((بأن الحياة التي لا تخضع لاختبار لا تستحق إن يحياها الإنسان))[٣].

وتقديساً لهذه الحقيقة وأيمانا لشرعيتها، تعالت صرخات الأدباء بحروفهم المهموسة الشعرية الثائرة وكلماتها المرسلة المنغومة دفاعاً عنها وتضحية لقيمها ومثلها.

والجواهري واحدمن هؤلاء الشعراء الذين اهتموا بالقضية الفلسطينية لأنها قضية قومية تهم الأمة العربية.

فلسطين فى شعر الجواهري:

لقد حاولت الأمة العربية، فيما انقضى من سنوات القرن العشرين إن تبحث عن ذاتها وتحدد شخصيتها بعد إن طمست معالم هذه الشخصية بتأثيرعوامل خارجة عن أرادتها وبدوافع استعمارية أسكتت الألسن الحرة في وطننا.[٤].

لذلك نرى إن الوعي القومي بدأ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وظهرت طبقة من المفكرين قدموا خدمات جلية للقضية القومية، ولكن هذا التيار كان يفتقر إلى ركائز فكرية ترسي عليها قواعده حتى بدأ الأدب القومي (بالتميز) في منتصف الأربعينيات اى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وتحدد مفهومه في ضوء المفاهيم القومية. لقد بدأ الأدب الدائر حول الصراع العربي ضد الاستعمار منذ وعد بلفور المشؤوم، فقد عبر العديد من الأدباء في شعرهم عن عمق الأثر الكامن وراء هذا الوعد فعبر الشعر والنثر عن الارتباط القومي الأصيل بين أبناء الأمة التي التأمت بعدها ورنت في مسامعها أجراس الخطر الرهيب الذي يهددها في عقر دارها.

ولا احسب إنها أجمعت على أمر كأجماعها على مأساة فلسطين وإذا كانت المشاعر العربية فى كل مكان تواكب المأساة فصلاً فصلاً فتخرج فيضاً غاضباً قوامه آلاف القصائد والخطب التي تعكس المشاعرالقومية المتدفقة والعاطفة الجياشة، والثورة العارمة و احتلت القضية العربية مساحات واسعة في دواوين الشعراء بل خصتها البعض بدواوين كاملة، فكما شاركت البندقية في الكفاح ،فقد شاركت الكلمة الشاعرة ليس على ارض فلسطين فحسب، بل على كل ارض باركها الله بلغة القرآن الكريم فساهم الشعر بذلك في التعبئة وتعميق الوعي القومي الوحدوي، حتى عد الشاعر (دواعية وحدة) بين أبناء الأمة شاء أم أبى. ونحن في واقعنا هذا بأمس الحاجة إلى هذا الأديب المشروع وذلك لان الأدب الذى لا يحمل فكرة ولا يحتضن قضية ولايناصر إنسان ليس من الأدب بشئ[٥]. ويجب إن لاننسى بأن الفكرة والقضية ومناصرة الإنسان هي مبادئ أدبية لايمكن إن تنفصل عن واقعها الاجتماعي وان قيمتها تتجسد وتظهر إذا انتقل بها صاحبها إلى مجال التطبيق الذى هو في الواقع أنجاز قائم على الظروف الموضوعية مكاناً وزماناً وألا بقيت مجرد مبادئ نظرية لا قيمة لها مهما حاول صاحبها إن يُسَوِد بها مئات الصفحات ولما كانت الثورة الأدبية مظهراً حضارياً متفاعلاً بتيارات العصر

وأحداثه وكان عنصر التجديد والانطلاق سمة من سماته البارزة لهذا نرى أن القضية الفلسطينية تحتل أبواباً من دواوين الشعراء.

والجواهرى واحد ممن صور مشاعر العرب تجاه المأساة أدق تصوير، بل وظف ذكاءه لاستشراف فصول المؤامرة لينبه لها قومه منذ بدء المشكلة حتى نكسه حزيران، لم يصبه اليأس بل ظل يدعو إلى استرداد الحق المغتصب بالقوة وله قصيدة (فلسطين الداميه)[٦] نظمها عام (١٩٢٩) يدعو إلى عدم التسامح فيقول:

إن التسامح في الاسلام ماحصدت منه العروبة إلا الشوك والألما

لابد من شيمٍ غُرٍّ فإن جلبت هلكأ فلابد ان تستأصلي الشيما

ويشير الجواهري في قصيدته إلى تظاهرة العرب عام ١٩١٩ رداً على مظاهرة اليهود الذين يشتمون بني المسلمين فيقول:

ثار الشباب ومن مثل الشباب إذا ريع الحمى وشواظ الغيرة احتدما
يأبي دم عربي في عروقهم إن يُصبح العربي الحرُّ مهتضما
في كل ضاحية منهم مظاهرة موحدين بها الأعلام والكلما
لا يأبهون بإرهاب إذا أحتدموا ولا بمصرعهم إن شعبهم سلما

وعندما كان الجواهري في سوريا نظم قصيدته (يوم فلسطين)[٧] عام ١٩٣٨. والثورة الفلسطينية ضد الاستعمار البريطاني على أشدها وكان الشاعر يقاسم دمشق ثورتها وألمها فيقول:

هبت الشام على عادتها تملأ الأرض شباباً حنِقا
نادباً بيتاً أباحوا قدسه في فلسطين وشملاً مُزِقا
بَرَّ بالعهد رجالُ أنفُ أخذ الشعب عليهم موثقا
شرفاً يوم فلسطين فقد بلغ القمة هذا المرتقى
ألبس المُلْكَ رداءً وازدهت روعة التاريخ منه رونقا

ثم يطلب من جلق إن تسمع ذلك النداء الذي يدعو ويستغيث بجلق وتسمع تلك النخوة العربية التي لا تجدها عند أمم أخرى لتكون هذه الدماء شاهد عدل على الظلم إذا لم يصدق لنا التاريخ ثم إن صرعى هذه الأمة نقلت لنا بأن شعباً جديداً قد خلق فيقول :

اسمعي ياجلق!! إن دماً! فى فلسطين ينادي جلقا

اسـمعي هـذا دمُ شـاءت له نـخوة مهتاجة أن يـُهْرقا
شـد ما أحتاجت إلى أمثـالـه أمـم يُعــوِزها أن تُعـتَقا
شاهد عـدل عـلـى الظلم إذا كَذَبَ التـاريخُ يـوماً صدقا

إلى إن يقول:

هـكذا تُعـلِنُ صـرعى أمةٍ إن شعباً من جـديدٍ خـُلِقا

ويخاطب الجواهري أهل فلسطين فى قصيدتها (ذكرى وعد بلفور)[٨] التي ألقاها في بغداد عام ١٩٤٦ شاحذاً هممهم للصمود والنضال من أجل قضيتهم العادلة، باعثاً فيهم الشجاعة والأقدام، ويحذرهم من الوقوع في شباك المعاهدة كما وقع فيها العراق، ويدعوهم إلى النضال حتى الموت أو النصر، فلم يبق في الحياة ما يستحق التردد بعد الضيم الذى أصاب الأمة العربية جراء معاهداتها مع الاستعمار فيقول:

خذي مـسعاك مثخنة الجراح ونـامي فـوق دامـية الصـفاح
ومدِّي بالممJات إلى حــياة تسَرُّ وبالعنــاء إلى ارتـياح
وقرّي فـوق جَمرِك أو تُردَي من العُـقبى الى أمر صُـراح
وقـُولي قد صبرت على اغتباق فماذا لو صـبرتُ علـ اصطباح
فإن أمرَّ ما أدمى كفاحــاً طُــعونُ الخـائفينَ مـن النجاح
فـكونى في سـماحك بالضحايا كعهـدك في سمـاحك بالأضاحي
فـإن الحقَّ يقـطرُ جانبــاه دمَاً صنوُ المُروءةِ و السمــاح
وتـاريخ الـشعـوب إذا تبنّى دمَ الأحـرارِ لايمحوهُ مـاحــي

ويستمر الشاعر بعد وصف مشارف فلسطين والشوق إليها يخاطب القدس، وكيف كانت ساحة للبطولة والفداء، فقد دارت على حدودها أعظم المعارك الحاسمة في تاريخ المسلمين مع الروم حيث ينتصر فيها المسلمون انتصاراً عظيماً، فقد مَثلَّ نقلة عسكرية روحية وحضارية في تاريخ الدولة الإسلامية بانتصارها على أقوى قوتين في العالم آنذاك، لذا فالبطولات العربية كانت قوية صارمة بيد (صلاح الدين الأيوبي) وبطشه. كما كانت سابقاً بيد (بخت نصر).

ويفيد الجواهري من الماضي لإلقاء الضوء على الحاضر لأنه ربط بينهما ربطاً جدلياً قوياً ليعطي بشائر الأمل لحاضرنا فى انتصارهم على العدو. كما ويحذر العربى من ألاعيب المستعمر فيقول:

أأمَّ القـدسِ والتــاريـخُ دامٍ ويـومُكِ مثـل امـسكِ فى الكفاح

ومهدُكِ وهو مهبِطُ كلِّ وحـــيٍ كنعشك وهو مُشتَجرُ الرِماح
و(وادي التَيهِ) إن لم يأو"موسى" فقد آوى الصليب على "صلاح"
وذكرى "بخت نصَّر" في القيافي يُجددِّها (ألِنبي) في الضواحي
فلا تتخبطي فاللُيل داجٍ وإن لم يبق بُدٌّ من صباح
شددتِ عرُى نطاقِكِ فاستَمرِى ولا يثقل عليك فتُستباحي
ولاتُعنَيْ بِنا فالفِعلُ جَوُّ مَغِيمُ عندنا والقولُ صاح
ولن تجدي كإيانا نصيراً يدقُ من الأس راحاً براح
ولا قوماً يردُّون الدواهى وقد خَرِست بألسنةِ فصاح

ثم يقول :

اعيذك من مصير نحن فيه لقد عُوِّذت من أجل متاح
ووضع أمسى كُلُهُم لواهٍ به واليم كلُهم لُواحى
تنصّل منه زوراً صانعوه كمولود تحدَّر من سفاح

ثم يقول وكم من تصريح – يكن قوى- كالطين إذا تدحرج يتفنن فى تشكيلاته، وكم من حلف يتساءل الجواهرى عن أمره ذاهلاً هل عقد بحق وبجد أم مزاح، وقد نلاحظ ان مازال حقنا يرجى بالألتماس والشفاعة والوساطة وباطلهم ينفذ بالقوة والسلاح، ويا للعجب من أمر حليف بالمرصاد لحليفه مهددً ومنذرً بالاكتساح الشامل له وإيقاع الهزيمة به فيقول:

"وتصريحٍ يُمطّطه قويٌّ كلوح الطين إذا يدحوه داحي
"وحلفٍ" لستُ ادرى من ذُهول أعن جدّ يدبَّرُ أم مِزاح
لنا حق يُرجى بالتماس وباطلهم ينفذ بالسلاح
ولست بعارف أبداً حليفاً يهدده حليف باكتساح

ويستمر الجواهرى فى تحذيره لفلسطين من النيات الأستعماريه الخبيثة والأساليب الأجنبية العجيبة فيقول:

فلسطين توّقي أن تكونى كما كُنتا بمدرجة الرياح
وان تضعى أمورك في نصابٍ يوَّقرُ او يُطفّفُ باجتراح
فكم هاوٍ أجدَّ لنا جروحاً يدعوى أنّه آسي جراح
وأُصدِقُكِ الحديث فكم " حُلولِ" حرامٍ لُحْنَ في زيٍّ مُباح
"نطوِّف ما نطوّف ثم نأوي الى بيتَ" أقيم على اقتراح
يُرِجُ ألفَ وجهٍ من حديثٍ ويخلقُ ألفَ معنىً لاصطلاح

لقد قامت في فلسطين أكثر من ثورة على الممارسات الجائرة التي اقترفتها أيدي الإنكليز واليهود ومنها تدنيس المقدسات والاعتداء على الأرض والعِرض وقتل الأبرياء.

وكانت حادثة البراق عام ١٩٢٩، وثورة القسام التي كانت أول ثورة عربية شاملة لافلسطينيه إقليميه وكان القسام يؤمن بأن القضية الفلسطينية ليست إقليمية محلية بل إنها قضية عربية شاملة ففلسطين لاتخص أهلها وحدهم بل العرب أجمعين، ويراهن القسام على صدق ما يدعو[٩] فقد نظر أبناء العروبة لأبناء فلسطين نظرة واقعية فى مواكبة لأحداثها وأحزانها.

وهنا يبرز دور الأديب العربي في تحمل مسؤولياته التاريخية فيبصر أمته وبما يحاك لها من دسائس ومؤمرات ويفضح الترابط الوثيق بين الصهيونية والأستعمار ويكشف مخططاتهما الجهنمية، ويربط الجواهري الحاضر بالماضي، بين نكبة الأندلس والتنبوء بنكبة فلسطين في قصيدته "فلسطين الدامية" التى مطلعها:

لو استطعت نشرت الحزن والألما على فلسطين مسوداً بها علما

فالأمة العربية قد غرها الأقبال، متناسية طيِّ الزمان لأمم قبلها ماشت عواطفها . فتحطمت كالزجاج مرتطمة بالصخرة الصماء فهي كالحالمة التي تعضُ نواجذها ندماً بعد إن انتبهت وتبددت الأحلام، والعرب بهذا –لاسامح الله– سيلحقون فلسطين بالأندلس ويعطفون عليه البيت والحرم على ذلك ويسلبونك بغداد وجلق جزاء ما صنعت الأكف العربية من نعم:

فاضت جروحُ فلسطينٍ مذكـرةً جرحاً باندلسٍ للآن ما ألتأما
ياأمة غرّها الإقبال نأسيةً أن الزمانَ طوى من قبلها اممـا
ماشت عواطفَها في الحكم فَأرتطمت مثلَ الزجاجِ بحد صخرة ارتطما
واسرعت في خطاها فوق طاقتها فإصبحت وهي تشكو الأَيْنَ والسأما
وغرَّها رونق الزهراء مكبرة إن الليالي عليها تخلع الظُّلما
كانت كحالمةٍ حتى اذا انتبهت عضّتْ نواجذَها من حرقةٍ ندما
سيُلحقون فلسطيناً باندلس ويعطفون عليها البيتَ والحرما
ويسلبونَك بغداداً وجلقةً ويتركونك لالحماً ولاوضما
جزاء ما اصطنعت كفاك من نعمٍ بيضاء عند أناسٍ تجحد النعما

إن هذا الربط أعطى القصيدةً محورها فاندفع من الخيبة إلى الأمل ومن التشتت إلى الدعوة إلى الوحدة ومن الأستكانه والخضوع إلى الكفاح والقتال من

أجل الحرية والكرامة ومن التوسل في طلب العدل والأنصاف من الأعداء المساندين للأسرائيلين إلى الدفاع عن الكرامة العربية فإن الدماء العربية الحرة الأبية لا ترضى الظلم والهوان. ثم يدعو الأمة العربية التي حكَّمت الخصم عليها إن تستشهد بالمدفع في نطقها وبالمظالم في ردَّ المظلمة وبالقوة التي سجلتها الحوادث بمنطق التاريخ الذي ما أحترم إلا رأيها وان لاتطلب رحمة من يد جبار فالأنظمة التي جمعت بين العدل والتسليح مثلها مثل الجزار مجتمعاً بأغنامه [١٠] فيقول:

باامةً لخصوم ضدها احتكـمت كيف ارتضيتِ خصيماً ظالماً حـكما
بالمدفع استشهدي ان كنت ناطقةً او رُمتِ أن تسمعى من يشتكي الصمما
بالمظالم رُدي عـنك مظلمـةً او لا فاحقر مافى الكون مَنْ ظُـلِمـا
سلي الحوادثَ والتاريخَ هل عرفا حقاً ورأياً بغير القوةِ احتُرمـا
لاتطلُبي من يد الجبار مرحمـةً ضعي علـى هامةٍ جبارةٍ قدمـا
لاتجمع العدلَ والتسليح أنظمةٌ الا كما جمعوا الجـزارَ والغنمـا

ونجد الألم يبلغ بالجواهري أقصاه بعد النكبة ويستنهض همة الشعب العربي لاسترداد فلسطين في قصيدته (فلسطين)[١١].وينعى على الأمة العربية استسلامها وسكونها ويطلب من الدول الإسلامية بعدم وقوفها مع الحياد ويجابه الأمة بحقيقة الأمر ولا سبيل لعلاج القضية إلا بالقوة والسلاح، وان البلسم بيد الشعب العربي ولا شفاء للقضية إلا عن طريق القوة والسلاح:

حمـاةَ الـدارِ ما النكساتُ سرٌّ ولاشـيءٌ تلـفق في بـِـِـِـجـاد
ولالـغزٌ فيحارُ المرء فيـه فيجهلُ ما سداسُ من أُحـاد

ولكن مثلما وضحتْ ذُكاءٌ ونور حاضرٌ منها و بادي
فما ذهبت فلسطين بسحرٍ ولاكُتِبَ الفناءُ بلا مِداد
ولاطاحَ البناءُ بلا انحرافٍ ولابَنَتِ اليهودُ بلاعِماد
وماكانت فلسطينٌ لتبقى وجيرتُها يُصاح بها بَداد
وسِتٌّ جهاتِها أخذت بجوعٍ وجهلٍ واحتقارٍ و اضطهاد
شعوبٌ تسترقُّ فما يبقى على أثرِ لها ذُلٌّ الصفاد

ثم يقول :

حُماة الدار لولا سمُ غاوٍ اساغَ شرابَه فَرطُ التمادي
ولبّاسً على خّتلٍ وغدْرٍ ثيابَ الواقفين على الحياد
ولولا نازلون على هواه سُكارَى في المحبّة والوداد
أجرّهُمُ عى ذهب فجروا فلسطينا على شوك القتاد
وقادوها له كبشَ افتداءٍ صنيعَ الهاربين من التفادي
لكنتم طِبَّ علتِها و كانت بكم تُحدّى على يدَ خيرِ حادي

ويبارك للجيوش العربية جهادها والجراح بضماده وهي تقوم بمهمتها عام ١٩٤٨ ويبارك لهم رشف الثغور المواضى وعناق الجياد وورد نمير الخلود، وتوطين النفوس على جمر المنايا والإخلاد علىحرِّ الجُلاد بأقدام الجيوش العربية على بذل النفيس من النفوس لأنفس منها وهو شرف البلاد الجريح فيقول:

دلالاً في ميادين الجهادِ وتيهاً بالجراح ، وبالضّماد
ورشفاً بالثغورِ من المواضي وأخذاً بالعناقِ من الجِهاد
وعبّا من نميرِ الخُلد يجرى لمُنزفةٍ دماؤُهم صوادى
وتواطيناً على جَمرِ المنايا واخلاداً الى حر الجلاد
وإقداماً وإنُ سرَتِ السواري بما يُشجي وان غدت الغوادي
وبذلاً للفنيس من الضحايا فأنفسُ منهم شرفُ البلاد

ثم يقول:

حماة الدار مسَّ الدار ضُررً ونادى بافتقاد كُمُ المُنادي
ارداتَكم لتكفوها فئلولاً مُعرَّزةً كأرتالِ الجراد
وشاءتكم لتنهطلوا عليها هُطول الغيث في سَنةٍ جماد

إلى إن يقول:

هنالك اذ يشُقُّ على المفدَّى فكاك أسارِه من كفِّ فادى
تفيضى النفس لا تدرى جزاءً ولا تبغى الى يوم المعاد
ولا يختال صاحبها ازدهاء بما اسدى على هام العباد

ولعل الجواهرى كان يدرك ما يدور فى الفلك الدولى كما كان يدرك الموقف العربى ازاء الحدث المأساوى العربى وكان الوعى القومى للقضصيه الفلسطينه ينطلق من تقديرها ان الأمه التى تريد الخلاص عليها الاعتماد على قدراتها الحقيقيه والابتعاد عن الامال الكاذبه للدول الكبرى وكان الجواهرى رائداً فى التعبير عن النصح الواعى القوى لهذا يكون شعره فى تلك المرحله فى قمه النضوج وقد حقق مستوى رفيعاً فى الشعر العربى الحديث ففي قصيدته (اليأس المنشود) (١٢) التى نظمها عام ١٩٤٧ كان يهجو من يندب فلسطين ويقول لهم:

يا نـادبين فلسطيناً وعنـدهـم علـم بـأن القضاء الحتـم قد وقعا
كم ذا تلحون ان تستوقدوا قبساً من الرماد ومـمن مـات مرتجعـا
كفى مما فات مماسميت أمـلاً من الحـلول التى كـيلت لكم ضرعا
جيلاً تصرم قد أبدى نواجـذه وعـد لبلفور فى تهويدها قـطعـا

ويرد الجوهرى فشل الحكام العرب فى ان بعضهم لم يكونوا جادين ولم يتوحدوا فى صد اسرائيل والاستعمار الغربى وقد ولدّت نكسة حزيران مشاعر قاتمه ويائسه عند بعض الشعراء وعزوا ذلك الى جيلهم جيل ماقبل النكسة ولكن فتره اليأس سرعان ما زالت وعاد الشعراء الى تفائلهم وأملهم فى النصر بعد أن بدأت المنظمات الفدائيه عملياتها فى الارض المحتله.

ولم يصب الجواهرى باليأس حيث وفق فى حرب حزيران عام ١٩٦٧ رافعاً من معنويات الشعب العربى ومؤكداً لهم ارادة الامه فى النصر وذلك فى قصيدته (الخطوب الخلاقه) (١٣) التى نشرتها أكثر الصحف العربيه أنذاك فيقول:

دع الـطوارق كالأتـون تحتـدمُ وخـلّها كحبيك النسجِ تلـتحمُ
وخذ مكانك منها غيرَ مكثـرت دَهدَى بك الموجُ او علَّت بك القِمم
كَفاك والخطب فخراً ان تصارعَه انّ المصارعَ انـّى صار مُحترم
ومثل بلواك فى غمّى تدافعُهـا تكون عُقباكَ إذا تستكشف الغُمم
تعسّرَ الصبحُ واستعصت ولادتُه حتى تشابكت الأنـوارُ والظلم
تـبارك الخطبُ تبلُوه وتحصدُه ان الخُطوبَ اذا ما استُثمرت نعَم

ويضيف الجواهرى فى ان الازمات هى التى تخلق النصر وان زمن المحنه هو زمن الانفراج والنصر:

قالوا اتت ازمةٌ جلى فقلتُ لهـم اهلاً وسهلاً فنِعم الطارقُ ألازَم
يا جارت من يضق ذرعاً بمنزلـةٍ فليس منـا وان متّـت به رحِم

سلى بنا الازمات السُود كم غَنِيتْ اذ كان عند سوانا الفقُر والعُدم
ما شئت فأمتحنى نزددً ندًى وقِرًى هل كان الا ليوم المحنةِ الكرم

وإذا كان العرب قد عانوا كثيراً من جراء افاعيل الاستعمار فقد أكسبهم ذلك أيضا الكثير من صفات الوعى والنصر التى بدت جلية واضحه على ألسنه شعرائهم واحتفاضهم بتفائلهم وثقتهم بالمستقبل الباسم وقد عبر عن هذه الروح قبيل حرب حزيران الجواهرى فقال:

لئن تكن خدعاً ساءت عواقبها فكم انارت طريقاً مظلماً خدع

ويندفع الشاعر مع عزم الامه وتصميها علي الانتصار، وكلما استشهد واحد من الفدائيين فى فلسطين العروبه كان هناك أملاً اكثر بالنصر، ودنا خطوه منه ففى قصيدته (الفداء والدم) [١٤] يؤكد الشاعر ان عظمه الفداء ستحقق حتماً عظمه النصر وان الأمه العربيه قد نذرت نفسها من أجل استرداد الارض المغتصبه وان الشهداء ماهم الانذور الامه العربيه للوصول الى هذا الهدف السامى النبيلً.

يقول:

جلَّ الفداء فما ينفك مـأربة لكل مستبسل اعيت مآربه

ثم يقول:

حوى النضال فسيحاً مابه غلق ولا بمـائعـةً رِخواً رحائبـهُ
على حفافيه من شعبً مصـايرُه وبين جنـــبيه من امرً عواقبه
تصاعدت همً للفدى وأستبقت مراتب النـفر الفـادى مراتبــه
وفّى لأمّـته نـذراً مفجـرة نـحوره وخضيبـاتٍ تـرائبــه

لقد اخرجت المأساة شعب فلسطين وبعثرته فى الارض ونثرته على الدروب وشتت شمل أسره، وفصلت أعضاءها، وقد ضاقت الارض على رحبها باللاجئين، فوضعوا فى بادئ الامر فى خيام مهلهلة لا تقى حراً ولا قراً[١٥]" ومع هذه الاهوال والالام التى يكابدها اللاجئون فانهم مؤمنون وواثقون بنصر الله لهم، ومؤمنون بحقهم فى العوده الى وطنهم وبأنتصار هذا الحق.

فقد صور الشاعر الالام الماديه للاجئين المتمثله فى الجوع والعرى والحرمان وفقد الغذاءوالكساء والمأوى والخيمه السوداء.. وللجواهرى قصيد بعنوان (اللاجئه فى العبد) [١٦]. نظمها ليله عيد الفطر عام ١٩٥٢التى مطلعها .

كادت حجول الدجى تطوى على الغرر وأوشك النسر أن يهوى بمـنحدر

حيث رسم الجواهرى صبية – فى هذه القصيد – تزغرد – فرحه بالعيد ثم بكت جزعاً من اجل صبية حولها صرعى من الفقر والبؤس .

وزغردت صبية فاستعبرت جزعاًلصبية حولها صرعى من الخور
مبرئين بلا إثم وإنهم فيما يجرّون من بؤس ومن صَغَر

ثم ذكر الشاعر صور من الماضي وصور من الحاضر لتلك اللاجئة فيقول:

ومر طيف من الذكرى يجلله وقر الحياة وما فيها من العبر
وراعها شبح الماضى كأن به مساً من الجن او لمساً من الذعر
ماكان ابعده من بؤس حاضرها وما تمثل من ايامها الأخر
بدا لها انها كالمجتلى فرقا طيف الجنان فسحاً وهو في سقر
وصافحت عينها " يافا " وبهجتها في مورق من مغانيها ومزدًهر
وبينهم في اعاليها وغرفتها في ظل كوخ من الاغصان مشتجر
ووالدُ كان يرعاها بمكتدح غال رخيص، رفيع الشأن مؤتجر
وفيح " بيارة " ما أنفكَّ عابقها يسري إليها بفوّاح من الزّهر

ويسأل الشاعر ليلة العيد هذه مالذي جلبته من نفع ومن ضرر وهل يُسر صباح العيد مبتئساً، ويُمسى ويصبح في الدنيا على سفر، وقد يرسم صورة للجوع، وهو ينتظر فرائساً حرة فيقول :

ياليلة العيد ماذا انت جالبةٌ على جنحك من نفع ومن ضرر
ياليلة العيد كم شاهدتُ من عجب في الدهر منك ومن أترابك الأُخر
لقد تنوّرن عن صُبح به بلجُ بيناً تبلدت سوداءً فلم تُنرى
وهل يسَّر صباح العيد مبتئساً يُمس ويصُبح في الدنيا على سفر
ياليلة العيد ان الجوع منتظرُ فرائساً حُرّةً، والعارَ منتظري
"الآن أُقحَمُ حتى لات مقتحم فقد تصَّبرتُ حتى لاتَ مصُطَبري"(١٧)
وقد تحرّجتُ في وسع ومقْتَدر والآن أُخرجُ عن وسُعي ومقتدري
سأفْتديهم وبئس الجوع من خطرٍ بما سأحملُ من نفسي على الخطر

وعندما ألمت الفاجعة بالامةً العربية في عدوان ١٩٦٧ وقعت فلسطين في الأسر الصهيوني كاد الامل في العودة ان يختنق لكن تلك الحالة من اليأس لم تستمر بعد ان هبَّ رجالُ صدقوا ماعاهدوا الله عليه ليعيدوا للفجر الفلسطيني ضوءه، ويبدأ سراج الأمل يبدد سحب اليأس ويقهر الظلم والاضطهاد . ولئن طال الانتظار فلن نملَ لان النصر سيتحقق، بعد هذا الانتظار الطويل وبعد

ان تكالبت قوى الغدر على وطن الرسالات [١٨] ومهد المسيح عليه السلام ومسرى خاتم الانبياء والرسل محمد عليه الصلاة والسلام .

لغة الشعر الفلسطيني عند الجواهري

اللغة (هي وسيلة الاتصال بين الناس)[١٩]. وتعد لغة الشاعر هي وسيلة الأديب للتعبير والخلق وهي أساس العمل الشعري ودعامته الكبرى "فالشعر استعمال خاص للغة"[٢٠]، و اللغة بألفاظها و موسيقاها وعاطفتها هي التي تحدد ملامح أية قصيدة تكسبها قيمة فنية أو جمالية معينة[٢١]، والبناء الفني للقصيدة الشعرية في رأي كولودج "أجود الألفاظ في أجود نسق"[٢٢]، و كلما كان الشاعر أصيلاً كانت ألفاظه تنضح بالقيم فتتقطر من ألفاظه الموسيقى و المعنى و الذاكرة والبساطة والزخرفة والصورة والفكرة...." [٢٣].

ويقول روبرت فروست أن بناء القصيدة هو (أداء فني بالألفاظ)[٢٤]، أما في رأي كورتشة: "إن اللغة خلق دائم) [٢٥] لأن الشعر "يجدد قيمة اللغة في وحدتها الجزئية" [٢٦].

إن اللغة هي المادة الأولية للأدب شعراً كان أم نثراً إنها في الشعر خلق فني تتحول فيه اللغة إلى رموز تصور حالة الأديب الباطنية و تعبر عن تجربته فهي لغة مشبعة بالتجربة قادرة بحكم صياغتها أن تحمل رؤية الشاعر للوجود عن طريق عمل فني متماسك موحد [٢٧] .

لهذا فإن أول ما يميز الأديب عن سائر الناس قدرته على أن يستخرج من اللفظة المعينة عدداً من المعاني يعجز عن استخراجه الآخرون، و ذلك أن اللفظة في حقيقتها نسيج متشعب في صور ومشاعر انتجتها التجربة الإنسانية و بثت في اللفظة فزادت معناها خصباً وحياة[٢٨]، فاللغة تكتسب قيمتها من اجتماعها مع غيرها حيث تدخل في عالم العلائق أكثر من أي إضافة أخرى[٢٩].

وإذا كانت مراحل تفاعل الشعر باللغة تختلف مستوياتها باختلاف الظروف الطويلة المعقدة التي مر بها شعرنا العربي بصورة عامة... والشعر القومي بصورة خاصة، فالشعر الفلسطيني الذي هو قضية الأمة التي يحملها الشاعر في ضميره، وهي رسالته إلى نفوس أبناء شعبه فلا عجب من إرسالها باللغة التي يتفاهم بها الشعب الذي هو أحدهم.. كما عمد الجواهري.

فالجواهري له اللفظ المنتقى والتركيب المتماسك السلس السليم الوزن الثري بالايقاع، فقد تميز باللغة على معاصريه وهي سمة غالبة في شعره ويملك منها ثروة هائلة من المفردات والتراكيب بسبب قراءاته الطويلة في الموروث الشعري وحفظه غالبيبة

دواوين الشعراء القدامى ومن يقرأ للجواهري يؤمن أن، شيئاً من مهارة الشاعر يرجع إلى اسلوبه فإنه يملك لغة خاصة و أسلوب خاص يقول:

خذي مسعاك مثخنة الجراح ونـامي فـوق داميــة الصفاح
ومدي بالمـمات إلى حـياة تسر وبالعنــاء إلى ارتــياح
وقري فوق جمرك أو تردي من العقبى إلى أمـر صــراح
وقولي قد صبرت على اغيتاق فـماذا لو صبرت على اصطباح

إلى أن يقول:

أأم القــدس و التاريــخ دامٍ و يومك مثل أمسك في الكـفاح
ومهدك و هو مهبط كل وحــي كنعشك وهو مشتجر الـرماح
و "وادي التيه" إن لم يأو (موسى) فقد أوى الصليب على "صلاح"
وذكرى "نجـت نصر" في الفيافي يجددها "ألنبي" في الضواحي
ولا تـعني بنا فالفعل جو مغيم عندنا والـقول صـــاح [٣٠]

فقد اختار الألفاظ الضخمة الجزلة لتؤثر في السامع و تؤجج في نفسه روح الثورة والجهاد لمقارعة الاستعمار وصنائعه، كما استخدم أفعال الأمر (خذي، ومدي، وقري، وقولي فكوني، وحولي، وغني..)، لأن استنهاض الهمم وبث روح الحماسة في نفوس أبناء الأمة من مهمة الشاعر الثوري كما يقول وردز ورث: "بأن على الشاعر الثوري أن يخلق الذوق الذي يحكم على شعره وسيعترف به الناس ويؤمنون به حين يجدون أنفسهم ماثلين في مرآة فنية"[٣١]، كما نجد في قصائده يذكر أسماء لبعض المدن العربية والمدن المقدسة مثل (أم القدس) و (فلسطين) و (وادي التيه) و (أورشليم)، ويذكر أسماء الأنبياء وأسماء لأعلام مشهورة مثل (النبي موسى)، و(داوود)، وأعلام وقواد العرب مثل (صلاح الدين) و (بخت نصر) و (ألِنبي) و آخرون... وذلك لأن الشاعر يثير الهمم عن طريق تذكير العرب بماضيهم المجيد وقوة بأسهم وكيف أنهم تبوؤوا تلك المكانة السامية وخضعت لهم أوسع الممالك.

وقد نلاحظ الشاعر قد نأى عن اللفظ المبتذل واتجه إلى الفصيح المنتقى، ولقد تمثلت غاية الجواهري بالمفردة وبراعته في انتقائها، بأن شفع فصاحتها بثراء دلالتها مفجراً فيها كل ما تكمن فيها من طاقة على التأثير في أحاسيس المتلقي و مشاعره نافذاً إلى ذلك من تأثيراتها الصوتية بالدرجة الأولى فقد يعمد إلى الأصوات الجهيرة تقرع بصوتها قبل دلالتها [٣٢] فيقول مثلاً :

كادت حجول الدجى تطوي على الغرر وأوشك النسر أن يـهوي بمنحدر

ويقول:

أراح صمت الدياجي في غياهبها ما اتعـب الرأد من سمع و من بصر

وقد شاع هذا كثيراً في شعره الفلسطيني ونلاحظ أن لغة هذا الشعر عند الجواهري قد تميزت بأسلوب يتناسب وطبيعة الأحداث الفلسطينية، فكانت ألفاظ القصائد حادة ومباشرة ممزوجة بالأنفعال الصادق ذي النبرة القوية الصارمة، تتمثل فيها استثارة الجماهير واستنفارها لملاحظة الأخطار المحيطة بالوطن، و التنديد بالاستعمار والصهيونية فيقول:

ثار الشباب و من مثل الشباب إذا ريع الحمى و شواظ الغيرة احتدما
يـأبي دم عربي في عروقهم أن يصبح العربي الحـــر مهتضما
في كل ضاحية منهم مـظاهـرة موحدين بـــها الأعـلام و الكلما

كما أن أهم مايميز قصائد الجواهرى فى شعره الفلسطينى هى المطالع الحماسية القوية ذات النبرات الجهيرة المجلجة والتي تذكرنا بمطالع القصائد القديمة فنجد بعضها تنقلنا إلى أيام الجهاد العربي في زمن الفتوح ونشر الإسلام على سوح القتال يقول:

دلالاً في ميادين الجـهـــاد وتـيهاً بالـجراح و بالضـماد
ورشـفاً بالثغور من المواضي وأخـذاً بالعناق من الجهـاد
وعباً من نميز الخلد بحـري لمنزفـة دماؤهم صـــوادي
و تـتوطيناً على جمر المنايـا وإخلاداً على حـر الجـــلاد
و إقداماً و إن سرت السواري بمتا يشجى و إن غدت الغوادي
و بذلاً للنفيس من الضحايـا فأنفس منهم شرف البـــلاد

أو يقول:

دع الطوارق كالأتـون تحتدم وخلها كحبيك النسيج تلتحـم
و خذ مكانك منها غير مكتـرث دهدى بك الموج أو علت بك القمم
كفاك و الخطب فخراً أن تصارعه إن المصـارع أنـى صار محترم .

ويقول أيضاً مع اختلاف الآلة الحربية:

بالمدفع استشهدي إن كنت ناطقة أو رمت أن تسمعي من يشتكي الصمما
و بالمظالم ردي عنك مظلمة اولا فأحقر ما في الكون من ظلما
سلي الحوادث و التاريخ هل عرفا حقاً و رأيا بغير القوة احترما
لا تطلبي من يد الجبار مرحمة ضعي على هامة جبارة قدما

ومن المظاهر التي نجدها في أسلوب القصيدة الفلسطينية عند الجواهري (التكرار) سواء تكرار المفردة في البيت الشعري الواحد أم في أبيات القصيدة الواحدة أم تكرار العبارة... والتكرار اللفظي له محاسنه في البناء الموسيقي والإيقاعي للقصيدة إذ استخدم استخداماً جيداً وجاءعفوياً بعيداً عن الصنعة والتكلف، فقد أجاد الجواهري في التشكيلات الصوتية داخل النسيج الشعري[٣٣].

إن التكرار في استخدامه الجيد يمنح القصيدة تناسقاً وتماثلاً ممتازاً [٣٤] ففي قصيدته (الفداء و الدم) نلاحظ التكرار في العبارات:

جل الفداء و جل الخلد صاحبه ضاف الفضاء و ما ضاقت مذاهبه
جل الفداء و إن ضجت مآتمه على الشهيد و أن رنت نوادبه
جل الفداء فما ينفك مأربه لكل مستبسل أعيت مآربه

ومثلها تكرار عبارة (حماة الدار) في قصيدة (فلسطين):

حماة الدار، ما ميدان حرب بأعنف من ميادين اعتقاد
حماة الدار، لولا سم غاو اساغ شرابه فرط التمادي

وهكذا نجده يكرر (حماة الدار) في بداية كل مقطع أو بين أبيات القصيدة أو تكرار عبارة (ناشدتك الله) في قصيدة (فلسطين و الأندلس)[٣٥].

ناشدتك الله أن تسقى الدماء غداً غرساً لجدك في أرجائها غرساً
ناشدتك الله و الظلماء مطبقة على فلسطين أن تهدى لها قبسا

أو يكرر عبارة (يا ليلة العيد) في قصيدته (اللاجئة في العيد) .

أو يكرر كلمة (اسمعي) في قصيدته (يوم فلسطين).

اسمعي يا خلق !! إن دماً في فلسطين هضيماً نطقاً

ثم يقول:

اسمعي يا جلق !! إن دماً في فلسطين ينادي جلقا
اسمعي هذا دم شاءت له نخوة مهتاجة أن يهرقا

إن هذا التكرار الذي جاء في الشطر الأول من كل بيت في تلك القصائد قد ارتبط بشكل من اشكال المعنى في الشطر الثاني، ولكننا نحس من خلال هذا التكرار أن شيئاً من توكيد الفكرة يريدها الشاعر فضلاً عن هذا الإيقاع المنتظم الذي يتشكل نتيجة لإعادة الشطر بكامله ويساعد على إبراز التصاعد العاطفي في الأبيات كما يمنح ضغطاً وتشديداً معيناً لفكرة الشاعر(٣٦)، ومثل هذا قصيدته (عودي إلى التحرير) يخاطب بها المنظمات الفدائية وهي على شكل أدوار بقواف مختلفة على وزن واحد فيكرر كلمة (عودي) وقد جاءت موحية بصورة مباشرة إلى الواقع السياسي الذي كان يعانيه الفلسطينيون من تشرد.

وهناك تكرار في الحروف .. فقد نجد الشاعر قد كرر حرف الراء في قوله:

وزغردت صبية فاستعبرت جزعاً لصبية حولها صرعى من الخور

فنجد الشاعر قد كرر حرف الراء أربع مرات في البيت الواحد و ذلك لأن هذا الحرف له أثرعميق في نفسية الجواهري فضلاً عن أن تردد الراء يعني ارتباط الحروف بصورة أو بمعنى في لا وعي الشاعر فقد نجدها مرتبطة بكلمة موحية عند الشاعر كأن تكون كلمة (الفجر) المنتظر والأمثلة كثيرة ومن ذلك قول الجواهري أيضاً:

يا أمة لخصوم ضدها احتكمت كيف ارتضيت خصيماً ظالماً حكما .

تكررت الميم ست مرات في تسع كلمات. إن تكرار الميم منطلق عند الشاعر من صورة (الدم) التي ذكرها الشاعر في قصيدته حين قال:

دم يفور على الأعقاب فائزة مهانة ارتضى كفواً له الكلما .

حيث نجد أن فوران الدم و صورته هي التي دفعت الميم لتأخذ طريقها إلى نسيج الشاعر... ومثلها يقول:

وأصدقك الحديث فكم حلول حرام لحن في زي مباح

فقد كرر الشاعر حرف (الحاء) خمس مرات ولنفترض أن التكرار منطلق أيضاً من صورة (الحزن) أو (المحنة) التي كان يعشها الشعب العربي آنذاك.

وقد يعمد الشاعر إلى مشاكلة حرفين أوأكثر في أبياته بحيث تتشكل هذه الحروف بطريقة تمنح البيت إيقاعاً خاصاً (٣٧)، ومن ذلك قوله:

وهل يسر صباح العيد مبتئساً يمسي و يصبح في الدنيا على سفر

إن حرفي (السين و الصاد) قد تعاقبا بطريقة خاصة في الكلمات (يسر، صباح، مبتئساً، يمسي ويصبح، وسفر)، و الطريقة الخاصة وهي أن حرف السين ربط

طرفي البيت، و استخدم الشاعر بين كلمتي (صباح مبتئساً) كلمة كل حروفها بعيدة عن مخرج (السين و الصاد) ثم جمعهما في الشطر الثاني فجاءا متعاقبين (يمسي ويصبح) ثم جاءت كلمة (سفر) في آخر البيت (فالشاعر حريص على التلوين، حتى إذا أحس أن الحرفين قد أخذا حقهما من التفريق والمشاكلة طوال البيت جمعهما مرة واحدة فجاءا متعاقبين لتركيز هذا التشكيل و لتكثيف جرسهما عند النهاية)[٣٨] يقول (يمسي و يصبح)، وقد نجد هذه الظاهرة لها اثرها فى شعره وساعدها الطباق بين (يسر، ومبتئساً) (ويمسى ويصبح) مما ساعد على تجميل هذه الصورة التي في مخيلة الشاعر ورفع مستواها الفنى وحدوث هذا التناغم الصوتى والملاحظ على قصائد الجواهري أنه يكرر حرف في داخل البيت الذي هو حرف القافية أكثر من غيره حيث يضغط على هذا الحرف فيحدث إيقاعاً موسيقياً للبيت فضلاً عن التنغيم الذي يحدثه هذا التكرار فيقول في قصيدته الدالية:

دلالاً في ميادين الجـهـــاد وتيـهاً بالجـراح و بالضـماد
حماة الـدار مسَّ الدار ضــرّ ونـادى بافـتقادكم المــنادي

فقد كرر حرف الدال في البيتين تسع مرات. و مثلها في قصيدته الحائية:

فكوني في سماحك بالضحايا كعـهدك في سماحك بالأضاحي

فقد كرر حرف الحاء أربع مرات و قصيدته الميمية:

يا أمة لخـصوم ضدها احتكمت كيف ارتضيت خصـيماً ظالماً حكما

كرر حرف الميم في البيت ست مرات: و قصيدته الرائية:

سخرية الخـلق لا سخرية القدر هذا التـفاوت في الادقاع و البطر

كرر حرف الراء أربع مرات في البيت.. وهكذا تتجمع هذه الاستخدامات الصوتية لتمنحه قيمة نغمية و ايقاعية عالية و خاصة عندما تكون عفوية.

لاحظنا ان قصائد الجواهري في المرحلة الأولى كانت تنحى منحى الجزالة في التراكيب و الفخامة في الألفاظ والاهتمام عموماً بمميزات فصاحة المفردة و بلاغة الكلام أما في مرحلة النضج كما يسميها الدكتور علي عباس علوان[٣٩]، فالثراء اللغوي هي سمة غالبه على شعره حين تطول القصيدة وحين تملأ صفحات عديدة ومع ذلك لا يحس قارئه أن الشاعر قد أدركه الوهن وانخفضت درجة الجزالة و العلو في لغته (حتى لنرى و كأن الموروث الفكري و الوجدانى للأمة قد استمال بين يدي الشاعر لغة ثرية ترفد قصيدته كما أراد)[٤٠].

حاولت هذه الدراسة اقتناص جانب واحد من مسيرة الشعر العراقي عن مدينة بغداد وما تركته هذه المدينة العريقة في الحضارة والعلم والفكر والمعرفة من آثار بارزة ظهر واضحاً في شعر الشعراء العراقيين كما ويُعطي هذا الجانب صورة وضاءة لمدينة بغداد وعصرها العلمي الذهبي ومكانتها الحديثة.

ولما كان شعراء العراق لا يُحصيهم كتاب ولا يقدر على عدِّهم عاد وخاصة في الفترة ما بين ١٩٢٠ – ١٩٧٠ فاختصرنا هذه الدراسة على المشهورين منهم ممن تغنوا ببغداد, بعثاً من مباعث النهوض العربي الذي غذى الشعور القومي للعرب في أوقات ضعفهم وفي سني الانحلال الذي أصاب الأمة.

فقد ردد الشعراء العراقيون في قصائدهم إلى هدف الوحدة كثيراً, وما أن يذكروا "بغداد" حتى يذكروا إنها عاصمة "العالم الإسلامي" وهي مدينة الرشيد وقبلة المنصور ومدينة المأمون رمز الحضارة الإسلامية.. كما جسدوا الوحدة في شعرهم وفي ذودهم عن حمى الوطن الكبير, والوقوف بجانب الأمة العربية ضد أعدائِها المستعمرين.. ولم ينسَى الشعراء, وصف جمال المدينة ومراكز ودور العلم فيها... فقد وصفوها وهم في غربتِهم ووصفوها وهم فيها.

١-ذكر بغداد في التغني بالمجد العربي والدعوة إلى الوحدة العربية إن كل نهضة قومية تنطلق في بداية أمرها من أفواه الأدباء ومنهم الشعراء. وتكاد تتشابه في كون ولادتها تبتدئ في التغني بماضي تلك الأمم والفخر بملامحها البطولية, وبرجالِها الخالدين, وبما يحمله هذا الماضي من مواطن ناصعة تستحق الفخر والاعتزاز, وكذلك هي المدن والحواضر الإسلامية التي قامت بها حضارة عربية وإسلامية يمكن الفخر والتغني بها.

ثم إن ما توخاه الشعراء العراقيون من التغني بالماضي وعكس صورته المشرقة إنما كان لتحقيق هدفين:

إحداهما: هو تبصير الجيل الجديد بحقيقة ماضي الأمة المزدهر في هذه الحواضر العربية العريقة ومنها (بغداد) وما تخللته من إنجازات حضارية عملاقة فيها, وما قدمتهُ للإنسانية من خدمات جليلة في هذا المضمار.

وما حالة الجمود التي تمر بها الأمة العربية ما هي إلاّ حالة طارئة, وحين يعرف العربي هذه الحقيقة, فإن ذلك سيكون حافزاً للنضال من أجل إعادة صورة الأمة الصافية في هذه الحواضر.

وثانيهما: هو أن الشاعر في تغنيه بالمجد العربي إنما يُعبر عن استنكاره لحالة الانحطاط التي أصابت الأمة وعن رغبتهِ الجامحة في الثورة عليها [٤١] .

وهكذا أصبح التغني بالماضي وسيلة فعّالة ومؤثرة في تحريك الإنسان العربي وهزّ أحاسيسه للنضال, لكي يثور بوجه المغتصب... بعد أن يرى البون الشاسع بين ماضي الأمة المجيد... وبين واقعهم الحالي وما يحمله من مرارة ويأس وقنوط.

وشعراء العراق في افتخارهم بمجد بغداد وبما تحقق فيها من تقدم في العلم والمعرفة وما نُشر فيها من مبادئ العدل والمساواة وما جسدوه من قيم في الشجاعة والإقدام في ملامحهم البطولية, إنما يبتغون دعوة الشباب العربي إلى استلهام الماضي والتمسك بما أنتجه من قيم ومبادئ يمكن اعتمادها كسلاحٍ ماضيٍ في معركتهم التي يخوضونها لتطهير ما طرأ على الأمة من تجزئة .

وللشاعر محمد مهدي الجواهري قصيدة بعنوان (أطياف بغداد) [٤٢] يدعو شبابنا العربي إلى التغني بأمجاد (بغداد)

كم في غمارِ الناس من متوقـدِ لوِقيـدَ شعَّ على البلادِ كفْرِقـَدِ
وكم استقرَّ على الرُّبى من خاملٍ قد كان أليق بالحضيضِ الأوهـدِ
فأعِدْ على بـغداد ظِلَّ غمامـةٍ باللّطفِ تَنْضـحُ والندى والسؤدد
أيــامَ كـان لمـذْهب متعرقٍ تعنو الورى ونـموذجٍ متبغـددِ
بالكــرخ بَغداد تتـيهُ وكوفَةٌ بالمسجدَينْ, وبَصْرةٌ بالمِربـَد
أيــامَ كان الـشعر أي كتيبـة تـحمى الثـغور بـها وأيّ مهنـدِ
كان المـقصر تستفزّ شذاتـه ليـجيد عقبى حــاذقٍ ومجـودِ
أطياف مجدٍ ما يزال خيالهـا مرحـاً بإيقاظ يطوفُ وهُــجد

ثم يذكرنا الجواهري ببأس وقوة الرشيد ورقة المتعبد وهوى الخليع (يحي بن الضحاك) ونسك الآخرون كلها ذهبت سدى ولم يبقَ إلا القليل:

عن بأس (هارون) ورقـة "معبـد" وهوى الخليع بها ونُسك "المهتدي"
درجت سدىً لم تُبقِ غير لميظـةٍ من لحمهـا بفمِ الزمـان الادردِ
وتَعَـرت الآراء في صحواتهـا إلا كومضة جمـرةٍ في موقـد
اضغاث ريحـان جنيّ تنتشــي بمعرق من عودهـا ومعضــد
في كل سفرٍ نفحةٌ من عبقر لمطامن في الرأي أو متمـــرد

ثم يذكرنا بأعلام الشعر والأدب الذين رفعوا راية الأدب آنذاك في(بغداد) مثل أبي نواس وأبي العلاء المعري والمتنبي والبحتري وآخرون الذين بقوا خالدين بأشعارهم التي خلدوها لنا وبهذا التراث العظيم الخالد فيقول :-

آمنت بالخلاق من شعرائــه بمبيض صحف الورى ومسودِ
بالأريحي (أبي نواس) وصحبه من شارب نخب الحياة ومُعَربدِ
بابنَ المعرةِ ترتمي جمراتـُه بأمْض من عنت الزمان وأحقد
بالبحتري أبي السلاسلُ لمعـاً بالعبقري (أبي محسدٌ) أحمـد
بمذل كافور عجيبــة دهـرهِ ومعزّ آل (الأرمني) ومخلّـدِ

ويدعو الشاعر عبد المنعم الفرطوسي أبناء العروبة, أن يقفوا بوجه الأعداء... ويُحيي الفاتحين ويطلب منهم أن يتطلعوا إلى النجوم والأفق, والعلياء: وهي شامخة أبيه بهذا الجيش الجرار فيقول(٤٣) :

بغداد يا دارَ الســلامِ تحيــةً للفاتحين تحفُّ بالإكبـــارِ
صوغي أهازيج الكرامــة نغمــةً كالنار تلهب من فمِ القيثــارِ
وتطلعـي للأفــق أن نجومَــه رجمت شياطين العمى بشـرارِ
لثغورِ هذا الشعب كيفَ تدافعت أفراحُهُ كتدافع التيـــــارِ
لطلائع الآمـــالِ وهــي كتائـبٌ زَحفت مع الثوارِ في مضمـارِ
طولي على هــام المجرةِ رفعــةً وبطولة في جيشك الجــرارِ

وحينما خَدع الإنكليز العرب, وتنكروا لعهودهم واقتسموا هم وفرنسا البلاد العربية هاجت نفس الشعراء, فانشد بعضهم ومنهم الشاعرعبد الغني الخضري, وكان قد وصف ممثلي أدباء العروبة ببغداد بأنهم أخوة أحرار في وطن واحد. كما كانت الإمبراطورية الإسلامية وليست هذه الحواجز إلا من مكائد الاستعمار الذي لا مقام له في وطننا العربي إلا بالتفريق بين أبنائه ووضع هذه الحدود, ثم أخذ الشاعر في دعوة أبناء الأمة إلى العمل الجاد وإعادة تماسك هذه الأمة, وعليهم أن يحطموا تلك الحدود التي اصطنعها هذا المستعمر فيقول (٤٤):

من المحيط إلى المـحيط لَفَهم بندٌ على وجه الصعيد انتصا
"مــوحِّد" بظلـه ألويـة تملأُ أحشاءَ الأعادي رهبـا
ليس بصنعا فارقٌ عن مكـة وليس بغداد تنـــافي حلبا
لم تُقِم الأجداد فـيها نُصبا فمن أقام بالحـدود النُصا
أقامها بقصـدهِ مستعمـرٌ مازال من وحدتهم مضطربا

"فرق تَسد" غايتهُ مستهدفاً بيؤسها سوف ينال الأربا
فلم يزل يسعى لها محبذاً رجاله ونفسه و النشّبا
كونوا يداً كجذوةٍ لاهبة تكن عداكم لسناهُ حطبا

وتبقى مسألة الوحدة متأججة في نفوس كثير من شعراء هذه المرحلة وقد عبروا عن ذلك في أكثر من مناسبة, والقصائد التي بين أيدينا تُرسم لنا صورة واضحة عن إيمان الشعراء العراقيين بالوحدة ونضالهم من أجلها.

ولقد بان لنا أن نضالهم عمَّ الساحة العربية بأسرها, وقد عبرَ الشعراء بشعرهم عن آلام الأمة, ومعاناتها ويقف في مقدمتهم الشاعر محمد رضا الشبيبي الذي عبر عن إيمانه بالوحدة العربية في أكثر من قصيدة, ولعلَّ قصيدته (الهيام بين الشام والعراق) خير دليل على ذلك, فقد عبر فيها عن اشتياقه إلى بغداد وحبه لها وخاصة عندما يبعد عنها, كما ويصور حبه واشتياقه الشديد للشام غير معترف بوجود حدود بين هذين القطرين الشقيقين وهذه واحدة من قصائدِهِ التي تتغنى بالوحدة العربية فيقول [٤٥]:

(ببغدادَ) اشتاقُ الشآمُ وها أنا إلى الكرخ من بغداد جَمُّ التشوق
فما أنا من أرض (الشآم) بَمشْئِمٍ ولا أنا في أرض العراق بُمعْرِقِ
هما وطنٍ فَردٌ وقد فرقوهما "رمى اللهُ بالتشتيت شملَ المفرِق"
إذا قُمْتَ نَصبَ القلب ياعهدَ (تدمرٍ) ذكرت ادّكارَ الطّيفِ عهد "الخورنق"

ثم يقول:

رهنتك يا "بغداد" قلبي ومن تكن رهينتهُ قلباً بـ" بغدادَ " يَقْلَقِ
علا الشَّيْبُ آمالي ولم يعلُ عارضي وبيض قلبي قبل تبيض مَفْرِقِي

وله قصيدة بعد دخول الإنكليز إلى بغداد يقول فيها[٤٦]:

ماذا بنا وبذي الديار يُرادُ ؟ فقدت دمشق وقبلها بغداد

وقد صحَ مضمون هذه القصيدة فقد دخل الجنود الفرنسيون دمشق أي بعد مضي سنتين من تاريخ نظم القصيدة.. كما أن الشيخ محمد باقرالشبيبي في مختلف أقواله وخطبه وأشعاره في مقدمة الهاتفين بوحدة الأمة العربية والداعين بإخلاص وبكل قوة لتوحيدها ولِم شملها تحت راية واحدة، منذ أن شارك في ثورة العشرين حتى توفاه الله, ولم يكن يغفل الدعوة لها والمناداة بها حتى في أبعد المواقف ارتباطاً بها وقصيدته العامرة التي نظمها بمناسبة الاحتفال بذكرى مرور ألف عام

على وفاة شاعر العرب الأكبر (المتنبي) وقيام دمشق بذلك الاحتفال العظيم خير مثال على مشاعره القومية ودعوته للوحدة العربية حيث يقول(٤٧):

حقٌ على الكوفةِ تسبق الطلب وتستعيد بالمساعي ما ذهب
ما انفردت جلق في تكريمها مذ نهضت سابقة لما وجب
فالنسب العريق ذلك النسب والسبب الوثيق ذلك السبب
فقل لهم: بغداد أخت جلقٍ وقل لهم "أم الربيعين" حلب

وكذلك الشاعر محمود الحبوبي في قصيدته (بغداد كما رأيتها) يريد من بغداد موطن الأملاك من مضر أن تُعيد عصر مآثرنا الذي كان يشع في الأفق كالأنجم الزهر أيام كانت ملوك الأرض يرهبها توحد الرأي بين البدو والحضر, كان الإسلام يوحدها, بعد أن امتدت الفتوحات الإسلامية إلى أقاصي العالم, وما يزال يروعها ذكر ذلك اللواء الخفاق على الآفاق منتشر فيقول (٤٨):

بغداد يا موطن الأملاك من مضر ما أنصفتك يد الأحداث والغير
إن كان أمسك بشرى هانئ جذل فليس يومك إلا همٌّ مذَّكــر
هلا أعدتِ لنا عصراً مآثرنــا تشعُ في افقه كالأنجم الزهـر
أيام كانت ملوك الأرض يرهبُها توحد الرأي بين البدو والحضر
فما تزال تصافينا مودَّتهــا ولم تشب صفو ما نختار بالكدر
وما تزال – وإن عزت– تروعها ذكرى لواء على الآفاق منتشر
فكم لنا ادخرت أغلى نفائسهــا حذار كل فتى للهول مدخــر
وكم أرينا العدى والحرب قائمة بعد انتصارٍ عليهم عفوَ مقتدرِ

إلى أن يقول:

حتى انتهى الأجل المحدود فاكتأبت وجوه ضاحكة الآصال والبكر
واسترجع الدهر ما أولاك من نِقمٍ فاضت عليك كغيث جدّ منهمر
ولم تزل فيك حتى الآن باقيــة بقية السوء من ترك ومن تنر

وقد يعزُّ على الشاعر وهو يرى الاستعمار في بغداد فيقول:

بغداد عزَّ علينا أن تزاحمنا فيك الطغام ولم نثأر ولم نثر

وقد ردد الشعراء العراقيون هدف الوحدة كثيراً في قصائدهم وقد كشفوا للنشئ الجديد أهمية هذا الهدف قديماً وحديثاً كما نددوا بكل المظاهر السلبية التي من شأنها أن تقف أمام تحقيقها, كما جسدوا الوحدة في شعرهم وفي ذودهم عن حمى الوطن الكبير والوقوف بجانب الأمة, وهذا الشاعر علي الشرقي يؤكد ذلك في

قصيدته الذي دعا فيها إلى إعادة صياغة التاريخ ليعيد لنا مجد أجدادِنا في كل الحواضر الإسلامية فيقول(٤٩):

هل تدري صنعاءُ ونجدٌ أننا نحتاجُ تاريخاً جديداً للعــرب
قد طوي الفسطاطُ مِن مصر وقد نامت بنو حمدان عنك ياحلب
وكوفةُ الجِند اضمحل جنِدها وقد خلا المنبرِ من تلك الخطـب
لا ريشة للصقرِ في أندلسٍ والشام لم يبقَ بها إلا الزَغـَب
تناسَتْ البصرُة إخوان الصفا وانقطعَ (المربدُ) عن كلِ سبب
فقل لصنعـاءٍ ونجدٍ إذ أتى دورهما هل يُرجعان مـا ذهب
بغداد ما عادَ الفرات يابسـاً وأرض مصر لم تهدْ بالجـدَب

وقصيدته الأخرى (الأحلام في العراق) يتمنى فيها أن يعود للعراق عزهِ وشموخه وتعود مدينة المنصور حتى لو كان حلماً, ليحدثها عما وصلت إليه الأمة الإسلامية من تجزئة, ثم يعدد الممالك التي توالت في السيطرة على الأمة بعد ذلك الزهاء والشموخ فيقول:

حلماً في مدينةِ المنصور قد سمعنا ثغاءَ طفلً صغير
صارخاً بين جمٍ غفيـر كيف ترجون خُمرةً من فطيرِ

وقد يعجب الشاعر جواد الشبيبي من هذا التغير في الحياة, فإن بغداد التي كانت قِبلة كل جهات العالم لأنها عاصمة الأمة الإسلامية, والذي كان يحتمي بها العالم كيف استباحوك, وما الحكام بعد هارون الرشيد إلا دمىً فيقول(٥٠):

في ذمةِ المجِد ضحايـا الفرات وفي سبيل الحق تلك الدمـا
بغداد يا قبلة كل الجهـات كيف استباحُوكِ وأنتِ الحمى
أبعد هارون وبعد الكفـاة تلوحُ في أفقك هذي الدمـا
سبحان مَنْ غير فحوى الحياة في هذه الأرض وتلك السما

ويظل حلم الوحدة يراود الشعراء. فالشاعر صالح الجعفري له قصيدة عن بغداد بعنوان (أحلام في بغداد) يذكر فيها ذلك الاضطراب والجرح الذي أصاب قلب بغداد عندما سيطر الاستعمار الأجنبي على البلاد العربية فيقول (٥١) .

في قلب بغداد جرحُ أعيا الطبيب القطاس
تصيبها حين تشكو لخيبـةٍ ولبـأس

ويدعو الشاعر (علي الصغير) إلى هذه الوحدة التي آن الأوان إليها فما تجدي المعاذير فيقول (٥١٢):

يا ساسة الوحدة الكبرى وقادتها آن الأوان فما تجدي المعاذيرُ

لا شك في أن إحساس الشاعر العراقي الذي آمن أن لأمته مجداً قديماً سادت به العالم يوماً من الأيام هو الدافع الأول الذي جعله ينشد مستقبلاً أفضل ويسعى لإعادة ما فقده العرب من مكانة وعزة.. و للشاعر محمد جمال الهاشمي قصيدة بهذا المعنى بعنوان (الشرق الناهض) يقول [٥٣]:

أيه بغداد يا بلاد الأساطير رعاك الجمال في مبْهجاته
إن تاريخك المعطر تسلو أنفس البائسين في نفحاته

ثم يقول:

ذاك عهد الرشيد يلمح كالفجـر تشع العصور في ذكرياتــه
وليالي الأمين تضفي على الأيـا م ظلاً يرقُ في لذاتِـــه
ونوادي المأمون والعبقريـات رعاها النبوغ في معجزاتـه
ذاك طيف الحياة للشرق والشـ ـرق يباهي الدنيا بطيف حياته

٢- الغربة والحنين إلى بغداد

الغربة: هي النزوح عن الوطن والابتعاد عن الأهل والديار, بمعنى أن يشعر المرء بابتعاده عن مكان نشأته وفراقه لذويه الذين يرتبط معهم نفسياً وعاطفياً واجتماعياً[٥٤] .

الحنين:وليس الحنين إلا عاطفة فطرية في النفس تجيش بها وتنقاد لها كلما شعَرتْ هذه النفس إنها بعيدة عما تهوى وتحب, وأن ما يلذ لها وما تسعد به في منأى عنها، وأن ظاهرة الحنين إلى الوطن له من القداسة في النفس وعلوق بالقلب [٥٥].

لأن الكثير من الشعراء قد ابتعدوا لسبب أو لآخر عن أوطانهم, وقد هاجهم الشوق والحنين إليها فعبّروا في أشعارهم عن هذه العاطفة الجياشة.

والشاعر إبراهيم الوائلي في قصيدته (بغداد) التي نظمها في عام ١٩٤٩ وهو في القاهرة نراه قد اشتد به الشوق وهاجه الحنين إلى وطنه الحبيب العراق, وخياله لم يفارق بغداد وروحه تهيم على شواطئ دجلة, فيقول [٥٦]:

بغداد إن طالَ الفراق و شفني ظمأٌ فحسب تعلتي ذكـراكِ
أنا إنْ بعْدتُ فلي خيالُ هائـمُ بين النجومِ يطوفُ في مغنـاكِ
وجوانحُ لم تحوِ في أعماقهـا ما يستشفُّ بهِ الهـوى إلاكِ
روح تهيمُ على شواطئ دجلة وتحومُ فوقَ جمالِها الضحّـاكِ
وتعود يحملها الجوى خفاقة لتصيح مني للنشـيد الباكـي

لقد بدأ قصيدته بقطعة وجدانية تفيض بالحنين وتزخر بالشوق إلى (دجلة) و (بغداد)، وهو وكأنما يتكلم عن نفسه ويحدث الناس عن شجونه, لكنه في الواقع يتوجع لما يعاني وطنه من وطئة الظلم ويتفجع لما تقاسِي بلاده من قسوة الاضطهاد , وإنه ليبكي ملاعب شبابه وعهود الصبا فيقول:

بغداد و الألم الدفيــن يهزني فإذا شكوتُ فلستُ أول شاكي
لي مثل سوايَّ صوت معـاتب لو تستُجيبُ لعـاتب أذنـاك
أتبيتُ دنياك الضحوك مدّلـة وعلى مآسيهـا تبيتُ قـراكِ
فتذكري الريف الحزين ومن به والقـاطنين صوامع النساك
الحاصدين من السهول رمالها والنـائمين على الطوّى الفتاك
و اللابسين من الشتـاءِ عَراءه في حين طابَ لسامرٍ مشتاكِ

إلى أن يقول:

بغداد هذا اللحنُ نجوى شاعر ما شاقهُ في الذكريات سواكِ
انات قلبٍ إن أثارك شجوها أو لم يثرك فإنها ذكـراك

ويحن الشاعر محمد مهدي الجواهري إلى وطنه ويشتاق إلى بغداد, لأنه عاش معظم حياته مغترباً مطارداً من الإنكليز لا لشئ إلاّ لأنه أصَّر على أن يكون بجانب شعبهِ العربي في العراق يعبر عن آماله في الحرية والاستقلال, ويحثه في دأب على العمل من أجل تقدمه وتحقيق طموحاته [٥٧].

وقصيدته (بغداد) التي نظمها عام ١٩٢٥ ونشرت بعنوان (دمعة على بغداد) تحمل ذلك الشوق والحنين إليها فيقول[٥٨]:

خذي نفسَ الصبا(بغداد) إني بعثت لك الهوى عرضاً وطولاً
يذكرني أريجٌ بات يُهـــدي إليَّ لطيمــه الريحَ البليلاً
هواءك إذنهشُّ له شمـــالاً وماءك إذ نصّفقــه شمولاً
ودجلة حين تَصقُلها النُعامــى كما مسَحت يدٌ خداً صقيلا

إن شوقه إلى وطنه قد جعله يضع هذا الوطن في هذا العلو والرفعة فهواؤه العليل المعطر وماؤه العذب وتلك الربوع المسرة, ودجلة التي تصقلها النعامى كما مسحت يدٌ خداً صقيلاً .

ولما كان الوطن هو الأرض فإن الجواهري يذكره حنينه إلى تلك الحضارات التي انفردت بها بلاده ولا تزال آثارها شاخصة في قصيدته (بغداد) يقول في مطلعها [٥٩]:

لا در درك من ربوع ديــار قَرْبُ المزار كبُعد مـــزارِ
يهفو الدوار برأس من يشتاقها ويصاب – وهو يخافها – بدوارِ

إلى أن نقول:

هوت الحضارة فوقها عربيــةً وتفردت (آشور) بالآثـــار
ومشت لوادي (عبقرٍ) فتكفلـت بعذاب كل مدّمّرٍ قهـــار

وعندما يطول به الفراق ويزداد اشتياقه إلى وطنه ويضنيه الحنين ويؤرقه, ففؤاده يظل معلقاً ببغداد فيبعث التحية لدجلة الخير عن بعد لأنه مكره في الابتعاد عنها ويتمنى أن يُكَفَنُ بذلك الشراع الرخص الطري اللين بعد موته, فيقول [٦٠]:

حِييتُ سفِحك عن بعد فحييني يا دجلـة الخير, يا أمَّ البساتينـي
حييتُ سفحك ظمآناً ألوذ بـه لوَذ الحمائِم بين المـاءِ والطينـى
يا دجلة الخير يا نبعاً أفارقُـهُ على الكراهِة بين الحِين والحيــن
إني وردتُ عيُوَن الماء صافيةً نبعاً فنبعاً فمـــا كانت لَترويني
وأنت يا قارباً تلوي الرياحُ بهِ ليَ النســائِم أطرافَ الأفانيــن
ودِدتُ ذاك الشِراع الرخص لو كفني يُحاك منه غدَاة البَين يَطويني

وأنت تقرأ هذه القصيدة تجدها وكأنها لوحة فنية رائعة يصف بها بغداد وعزها وشموخها وطبيعتها فيقول:

يا دجلة الخير: يا أطيَاف ساحرةٍ يا خمرَ خابيةٍ في ظل عُرْجـونِ
يا سكَتة الموتِ, يا إعصارَ زوبعةِ يا خنجرَ الغدر يا أغصانَ زيتـونِ
يا أم بغداَد من ظرفٍ ومن غنـجٍ مشي التبغددُ حتى في الدهاقيــن
يا أم تلك التي من (ألفِ ليلِتها) للآن يعبقُ عِطرٌ فـي التلاحيــنِ
يا دجلة الخير كم مِنْ كنز موهبةٍ لديك في "القَمقم" المسحورِ مخزون

والشعر عند أولئك الشعراء الذين هاجروا طلباً للعلم والمعرفة أو للرزق , شعراً صادقاً ومؤثراً, قادراً على التعبير عن عواطف ومشاعر أصحابه الذين صاغوه ليحمل أحزانهم وآلامهم التي تنوء بها نفوسهم المعذبة بالغربة كقصيدة الشاعر كاظم محسن الخلق حيث يقول[٦١]:

هجْرُتك يا بغدادُ رغـم إرادتِي بريقك يا بغداد والدهر سيان
أحُبكِ يا بغــدادُ حب متيـمٍ يرى فيه دنيا ما تجاريهِ أديانِ
هو الحبُ أضنى القلبُ والجسم داؤهُ وقد سلمت منه قلوبَ وأبدانُ

وقد يُكثروا من وصف الطبيعة في موطنهم الأصلي وما تتحلى به من مظاهر الجمال, فإنهم إذا حنّوا يحنون إلى مظاهر الجمال المنبثة في ربوعها, ولكن ذلك لا يمنع من الحنين إلى الأهل والأحباب وإلى عهود الصبا وأيام الطفولة فيقول قبيل رحيله عنها:

وقفتُ وقد لاحَ الأصيلُ بدجلــةٍ قبيل النوى والمــاء في النهرِ عقيان
ودجلةَ تجرِي في دلالٍ وتزدِهـي رياض بأنــواعِ الورودِ ووديــانِ
وتنساب بين الورد والزهر مسرعاً كما انساب من خوفٍ على الأرضِ ثعبانِ
رأيتُ جنانَ الخلدِ والماءَ حولهــا "ببغداد" ولكن يا ترى أينَ رضـوانِ

أما قصيدة الشاعر مصطفى جمال الدين (بغداد) من الروائع التي تغنى الشاعر بأمجاد بغداد وزهوها, ويذكر جمالها وسحرها, فإن اشتبكت عليك الأعصر يا بغداد سوف تذبل ويبقى وريق عمرك أخضر, ويبقى صباحك مشمس وليلك مقمر ومضيء, حتى لو قست عليك الحوادث فقد راعها هذا الصبر والتحمل وطغيان بغداد هذا دليل على ما ورثته من العز والكبرياء فيقول(٦٢):

بغدادُ ما اشتبكَتْ عليكِ الأعصْر
إلا ذوتّ ووريق عمرك أخضر
مرت بك الدنيا وصبحك مشمسٌ
ودجتِ عليكِ , ووجه ليلكِ مقمرُ
وقسَت عليكِ الحادثاتُ... فراعها
إن احتمالك من أذاها. أكبر
حتى إذا جنت سياط عذابها
راحت مواقعها الكريمة تسخر
فكأن كيدك, إذ يعدك "تيمر"
عنتاً دلالك إذ يضحك "جعفر"

ثم يتحدث عن جمالها, وهذا السحر المندى بالشذى الفواح يقطر من حلل النسائم فيقول:

بغدادُ بالسحر المندى بالشذى الفواح
من حلل النسـائم يقطــر
بالشاطئ المسحور يحضنــه الدجى
فيكاد من حرق الهوى يتنــور

بالسامرين – أثابهم – من لهوهـم
وهج الضحى وكأنهم لم يسمروا

بغداد بالذكرى الحبيبة بالصدى المرنان
من خلف الأعاصيـر يهـدر

ويستبشر الشاعر عبد الرزاق محي الدين بأن الصبح لابد من أن يعود للعرب بعد ليل امتد عليهم بالظلم والتسهيد فيقول (٦٣):

قُلْ لبغداد عيدي واستعيـدي وُلد النجم وأستهل قصيدي
أي ليلٍ هذا الذي أطلع الصبـ ـح فغشى سناهُ عين الحسودِ
ذاك ليلٌ قد طـــال بالعرب وامتدَ عليهم بالظلم والتسهيد

ثم يقول لأنها الوحدة التي أرادها الله أن تكون وهي دعوة للتوحيد:

صيحة في السماء والأرض دوت جاوبتــها الآفاق بالترديـد
هي في الأرض وحـدة وهي في عرف السماوات دعوة التوحيـد

وقد نجد هذه المسحة الناعمة من الحزن والألم على معظم هذه القصائد , ولكن لم تطغِ على نظرة التفاؤل والأمل , ولم تمنع ظهور العزم وروح الثبات وحرارة الإيمان واستمرار الكفاح لعودة ذلك المجد المغتصب لصياغة الحياة الإنسانية على هدي السماء وإسداء الخير للإنسانية.

٣- الصورة الشعرية فى قصيدة بغداد:

اختلف الباحثون على تعريف واضح ومحدد للصورة مثلها مثل الشعر. وقد كان لها عند العرب القدماء مكان اثير حيث يقول الجاحظ: "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروى والمدني، وانما الشأن في اقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك. فانما الشعر صناعة، وضرب من النسيج وجنس من التصوير" (٦٤)

فالقدرة على التصوير وبراعة الشاعر الخيالية في رسم صورة وتفرده في ذلك الخيال احد الأركان المهمة التي يقوم عليها الشعر في نظر الجاحظ، ويؤكد الجاحظ في موضع اخر، "واجود الشعر مارأيته متلاحم الاجزاء سهل المخارج فنعلم بذلك انه قد افرغ وسبك سبكا واحدا فهو يجرى على اللسان كما يجرى الدهان" (٦٥) .

فتكون الصورة عنده نسيج جمالي متقن تشترك في بنائه شاعرية الشاعر بمهارتهاالمتميزة فضلا عن عناصر البناء الشعرى الاخرى كالموسيقى الشعرية والطبع الشعرى والصياغة اللفظية البارعة التي تجعل المعاني العامة مزيدة تخلق الاستجابة في نفس متلقيها(٦٦) .

ويقول قدامة بن جعفر "اذا كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة، والشعر فيها كالصورة كما يوجد في كل صناعة ومن ان لابد فيها من شيء موضوع تصل تأثير الصور منها مثل الخشب للنجارة والفضة للصياغة" (٦٧) .

فالصورة عند قدامة الشكل الفني الجديد الذى يصاغ من مادة الشعر أى من المعاني فالشعر هو الصورة، اى ان مقاييس جودة الشعر او ردائته تكون على وفق جودة الصورة عند الشاعر اوردائتها(٦٨).

اما عند عبد القاهر الجرجاني: "ومعلوم ان سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة وان سبيل المعنى الذى يعبر عنه سبيل الشيء الذى يقع التصوير والصوغ منه كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم او سوار"(٦٩). فهو يرى ان التصوير والصياغة سبيلا الكلام الفني اى ان هذا الشكل الجديد صورة جديدة فهي (الجانب الخاص من تلك المهارة حين تصير من خلال الصوغ مظهرا فنيا قائما بذاته يتباين الشعراء فيه جودة اورداءة، فالمعنى روح الصورة. والصورة الشكل الفني للمعنى ودلالته الابداعية والجمالية (٧٠).

فالصورة هي الطريقة الوحيدة والرئيسة لاثراء اللغة وتوسيع معجمها وزيادة قدرتها على التعبير وبث الحياة والنضارة فيها. والشعراء هم صانعو هذه اللغة وواهبوها لانهم خالقو الصورة ومبدعوها(٧١).

اما الغربيون فمنهم من يرى انها "رسم قوامه الكلمات المشحونة بالاحساس والعاطفة (٧٢)"، اما في معجم مصطلحات الادب تعني "التعبير عن المعنى المقصود بطريقة التشبيه او المجاز والكتابة او تجسيد المعنى(٧٣)

ويرى ازرا باوند الصورة "تلك التي تقدم تركيبة عقلية وعاطفية في لحظة من الزمن" (٧٤)اما اليوت فيقول: "ان الشاعر يصل الى حدود الوعي ثم يتجاوزها الى عالم لا تستطيع الكلمات المنثورة ان تبلغة وانما تبلغه الكلمات المنظومة. فهذا العالم الذى يتعدى حدود الوعي له معنى، ولكن معناه يبلغه الشعر وحده ذات الايقاع الخاص"(٧٥)، وقال الدكتور جونسون:"لاشيء يمكن ان يسر الكثيرين ويسر طويلا، الا التمثيل الصادق للطبيعة الانسانية، ان الصورة التي يبدعها الخيال قد تبعث على السرور فترة ما بسبب الطرافه التى تدعو اليها حياتنا، غير ان مسرات الدهشة المفاجئة سرعان ما تتلاشى اذ ان العقل انما يسكن فقط الى استقرار الحقيقة وثباتها"(٧٦)، فتكون الصورة الشعرية عند جونسون" العقل الانساني الهادف لايجاد صلة مع كل ماهو حي او كان حيا، وبذلك توجد خلال كل استعارة تطابقا بين الموضوعات الخارجية" (٧٧).

ويقول كولردج، "على ان الاحساس بالعصر لن يكون له قيمة حقيقية، الا اذ استطاع ان ينبع من نسيج الكلمات وصورها ورموزها ومشاعرها ومن قوة التوازن بين الفكر والاحساس، بين العاطفة والصورة، بين حركة العقيدة المادية والمعنوية، بين الانفعال والصوت" (٧٨) .

ويرى اهميةالصورة عند ما يقول: "ان الصورة مهما تكن جميلة.....فانها لاتميز الشاعر. انها تصبح فقط ادلة للنبوغ الاصيل حين تلطف بالعاطفة السائدة او بالافكار ذات العلاقة او الصور التي توقظها العاطفة" (٧٩)

ان الرأى السائد يميل الى ظاهرة التجسيم والتمثيل الحسيين، فالشعر يمثل لكوفن "اوضح الصور الفنية، واكثر الاشياء المرئية ثباتا بالذهن.....دائما اشياء كتلك التي نستطيع ان نبصرها ونلمسها ونسمعها ونتذوقها ونشمها...."(٨٠)، وهو عند برى"..... التصوير الفني للتجربة الحسية، وما التصوير الفني سوى ان تمر التجربة بالذهن فينقيها ويعدل من بنائها، ويحولها الى صورة فنية قوية الاثر

تهب الشعر عمقه واثره الفعال..... ". ويقول بوضوح:"..... ان وظيفة الشعر هي ان ينقل الينا الاحساس بالاشياء لا المعرفة بها....." ويبالغ في اهمية الصور في الشعر فيزعم انها لاتصنع من الكلمات على الاطلاق وانما من المنبهات الاصلية التي تثيرها الحواس اولا" وتتفق ريكيرت في موقفها ازاء الصور مع (برى) تقول: "..... ان الصورة الفنية هي التعبير عن التجربة على هيئة صور ذهنية".. ويكفي ان نتأمل ماخلع عليها بيئس من قيمة ومع ذلك فالصورة هي الشيء الثابت في الشعر كله.... وكل قصيدة انما هي في ذاتها صورة " (٨١).

وبهذا نلاحظ" ان الصورة الشعرية هي صورة حسية في الكلمات والى حد ما مجازية مع خط خفي من العاطفة الانسانية في سياقها، ولكنها مشحونة باحساس او عاطفة شعرية خاصة تنساب نحو القارى"(٨٢). ولهذا يؤكد كولردج على ضرورة المجاز في الشعر عندما يقول" ان مقالة كاملة يمكن ان تكتب عن خطر التفكير بدون اخيلة او تشبيهات، والشعر من غير المجاز يصبح كتلة لاحياة فيها وذلك لان الصورة المجازية جزء ضرورى من الطاقة التي تمد الشعر بالحياة"(٨٣).. ويرى روبرت فروست: "ان هناك اشياء كثيرة يمكن ان تقال في تعريف الشعر ولكن الشيء الرئسي فيه هو المجاز" (٨٤)

"فاصبحت الصورة تعني الاستعمال الفني للغة المجازية او الاستعارية في الشعر". وهذا يعني ان الصورة ليست زينة زخرفية (اى انها ليست محسنات لفظية) فثمة افكار في القصيدة لاتدرك ولاتجد تعبيرا واضحا لها الا من خلال استعمال الشاعر للصورة"(٨٥). فيكون هناك فرق بين الصورة التزينية والصورة العضوية التي تعمل على خلق اكثر من مجرد الاعجاب بالقصيدة ويكمن هذا الغرض وراء قدرة الشاعر.... في استعمال المجازاو الاستعارة اى القدرة على استعمال واستثمار السمة الفنية في اللغة المجازية او الاستعارية او الانفعالية، ان الحركة في الصورة سواء كانت تزينية عضوية تتجلى في حركتها او فعاليتها المجازية- الاستعارية(٨٦)، اما (س. دى لويس) يسمي الصورة الشعرية (الرسم بالكلمات) –كما ذكرنا سابقا- ويمضي الى الاعتقاد بان "الوصف والمجاز (الاستعارة) والتشبيه قد تخلق صورة وان الصورة يمكن ان تقدم الينا في عبارة او جملة يغلب عليها الوصف المحض"(٨٧).

وهذا يعني "استحداث سلسلة من الصور التجريديه الذهنية والمكثفة ايضا وبذلك يكون مصطلح الصورة مراد فا للفكرة والرؤية في آن واحد اى ان هذا المصطلح يستعمل واسطة للفكرة الخيالية او التصويرية والتجربة الجمالية التي يحاول الشاعر من خلالها توصيل فكرته وتجربته الجمالية الى متلقيه.
يكون مصطلح الصورة المستقر الى حد ما في الدرس النقدى الغربي "هو التفاعل المتبادل بين الفكرة والرؤية والحواس الانسانية الاخرى– من خلال قدرة الشاعر في التعبير عن ذلك التفاعل بلغة شعرية مستندة الى طاقة اللغة الانفعالية بمجازاتها واستعاراتها وتشبيهاتها في خلق الاستجابة والاحساس بذلك التفاعل عند المتلقي سواء اكانت الاستجابة حسية بصرية ام معنوية تجريدية، ويستقر مصطلح الصورة في رأى الدكتور عناد غزوان بعد ان يضيف الى هذا التحديد الدلالة التراثية النقدية العربية في التوكيد على عنصرى، الصياغة وجودة السبك في تحقيق الحس الصورى او التصويرى للغة الشعرية في القصيدة ليعني" التأثير الذى يخلقه في نفوسنا التفاعل الفني بين الفكرة والرؤية الحسية عن طريق جودة الصوغ والسبك بلغة شعرية انفعالية صافية بعيدة عن التجريد المستغلق والخطابية المباشرة "[٨٨].

ان الحديث عن الصورة.....هو حديث..... عن قدرتها التكافؤية والتعادلية بين الحقيقة والمجاز او اذا شئنا بين الواقع والخيال تلك التعادلية التي تتجلى في اسلوب الصورة الشعرية من حيث الصياغة اللغوية البارعة في تجسيد المضمون الفكرى من خلال تشبيهاته واستعاراته وكتاباته ومعادلة الموضوع حدثا فنيا يخلق الاستجابة عند المتلقي[٨٩].

فالصورة الشعرية هي الوسيلة التي توصلنا الى ادراك تجربة الشاعر ومشاركته احاسيسه ومشاعره بعد ان اضافت الى الموضوع الذى تفاعل الشاعر معه داخليا وشكلته على هيئة تعبيرية خاصة تظهر قابليته وموهبته وابداعه[٩٠].
وبهذا المفهوم سنقرا فيه قصيدة بغداد فى الشعر العراقى المعاصر.

ولو اخذنا لشعر الشاعر محمد مهدي الجواهري في قصائده عن (بغداد) كمثال اول نجده شاعراً رائداً متميزا في قدرته على رسم الصورة الشعرية المؤثرة فيقول في قصيدته (بغداد)[٩١].

عشرون قرناً وهي تسحب فوقها بدم ذيول مواكب الاحرار

انظر الى صورة بغداد في انها عشرون قرناً وهي تسحب فوقها، ولم يقل تسحب فقط لان كلمة (فوقها) تدل على العز والشموخ والأياء والانتصار والشجاعة (بدم) لما لهذه الكلمة من مكانة في قاموس الشاعر. كما سيأتي الحديث عنها.. (ذيول مواكب الأحرار) لتدل على الانتصار تلو الانتصار لتدافع عن حمى الأمة العربية.

ويقول في قصيدته الأخرى[٩٢]:

فأعد على بغداد ظل غـمامة باللطف تنضح والندى والسؤدد

ويريد الشاعر اعادة تلك الغمامة التي تنضح على بغداد باللطف والندى والسؤدد فهى صورة حية. فقد شبه ذلك المجد بقطرات تنزل على بغداد من غمامة.. كما يقول:

ايام كان الـشعر أي كتيبة تحمى الثغـور بها واي مهند

ثم يجعل الشعر كتيبة تحمى الثغور كما يحميها السيف، فهي صورة عربية قديمة دائماً يذكرها الشعراء في اشعارهم .

ثم يصور لنا ذلك المجد الذي يجيب بعضه بعضاً يتراثه الضخم المتبدد، ولكن كلها ذهبت سدى لم يبق منها الا الشيئ القليل في فم الزمان الادرد. حيث جعل للزمان (فم) (ادرد) لشخص كبير السن وهذه المعظة في ذلك (الفم) الادرد صورة جميله ورائعة حيث يقول:

ومرد اصداء يجاوب بعـضها بعضاً بضخم تراثيها المتبدد

درجت سدى لم يبق غير لميظة من لحمها بفم الزمان الادرد

كما أن للأحداث السياسية وتغيرها اليومي في بغداد والوطن العربي، لم تغب عن ذهن الشاعر، والتي كان يتابعها. وكان له حضور فاعل في معظمها. ونجد لعواطفه الوطنية والقومية ودعوته الى الوحدة العربية لها مكانة في نفسية الشاعر.

فلو درسنا للشاعر قصائده التي قالها فى وثبة كانون (١٩٤٨) والتي كانت هذه الوثبة دفاعاً عن حقوق الإنسان العربي فى (بغداد) او في سائر الوطن العربي، وخاصة دفاعاً عن عرب فلسطين. فقد انشد ثلاث قصائد، وكانت روائع شعره، وقد كان (أخ) الشاعر (جعفر) هو واحد من هؤلاء الشهداء الذين سقطوا في معركة (الجسر).

فكانت الصور الشعرية في قصائده هذه ذات بناء ذاتي محض منتزع من رؤية الشاعر ومواقفه ونظراته الى الانسان وكفاحه في سبيل وطنه، اذا استطاع ان

يعادل ببراعة بين خلق صوره وهي ملكته الشعرية وتجسيم خياله، وهو نسيج ذكرياته ومدركاته لكثير من الاشكال المختلفة والمتغيرة والمرتبطة، انها تمتلك نكهه تراثية استمدها الشاعر بوعي وإلتزام من ثروته اللغوية وعلاقته بالتراث .
ان الصورة عند الجواهري خلاصة ذكية لتجربة صادقة يعتز بها فهي عنصر الابداع الفني في تجربته الشعرية التي ترى في الماضي والحاضر والمستقبل كلاً انسانياً متحركاً فيها انتماء التراث وواقعية الحاضر والرؤية المستقبلية فيقول[٩٣]:

اتـعلم ام انـت لاتـعلـم بأن جراح الضحايا فـمُ
َفمّ ليس كالمدعي قولـــة وليس كاخـر يسترحـم
يصيح على المدقعين الجياع اريقوا دماءكم تطــعموا

فقد اثرت صورة الدم على نفسية الشاعر وبهذا ظهرت في تجربته الشعرية، حيث نلاحظ عنصر الابداع في صوره حيث اتخذ(الجرح) شكل (الفم المنادى) والدم عصب حياة هؤلاء الناس المستذلين فجعل بينهم علاقة جديدة[٩٤].
أما قصيدته(يوم الشهيد) الذي يذكر فيها الشهيد الذي ضحى من اجل مستقبل أمته ووحدتها ومن اجل بغداد العروبة فيقول[٩٥]:

بك والذي ضم الثرى من طيبهم تتعطر الأرضون والأيام

(ضم الثرى في طيبهم) (تتعطر الارضون والأيام) صورة مكثفة استخدم الشاعر اللاوعي وصور عطرها - تتعطر- بها الأرض والأيام. يتحدث عن وجدان إنساني متوهج مكتض بتباريح الحب ولأخيه الشهيد. انها صورة مستمدة من أرضه وخياله وغضبه لأنه استشهد من اجل (بغداد ومن اجل وحدة أمته العربية ويقول ايضاً:

أرى افقاً بنجيع الدمــاء تنور واختفت الانجـم
وحبلاً من الأرض يرقى به كما قذف الصاعد السلم
تكور من حيث حولــه ضخام وامجادها اضخم
وكفاً تمد وراء الحجـاب فترسم في الافق ماترسم

انظر الى هذه الصورة التي تصور اللاوعي من التخيل القوي الذي يأخذ مجراه الى النسيج. فاذا بالافق قد (تنور بالدم) و(اختفت الانجم)، انها صورة الدم وقد غطى الوجود كله بعد ان غطى ارض الشاعر ووعيه، فلم تبق الا ان تندفع صورة اللاوعي. وهكذا يلقى الدم الكون امام الشاعر وقد اضاءت حمرته سواد الليل ونوّرته وارتبطت الارض بالسماء بهذا الحبل الدموي العجيب [٩٦]. ولاحظ

ضخامة جثث الشهداء (وامجادها اضخم) فحوّل صور هذه الجثث الى شئ رائع يعلوه المجد وكفاً تمد وراء حجاب (فترسم في الافق ما ترسم) من مجد لهؤلاء.. واهم ما نلاحظه في بناء الصورة هي أن الشاعر العراقي قد حاكى الشعر العربي القديم وصوره الحسيه المباشره باعتبار ان الصورة في نظر النقاد العرب القدماء ((هي شارحة ومضافة إليه))[٩٧].. إن للشعر الماضي أهمية بالنسبة للشاعر كما يؤكد ستيفن سبندر حيث يقول فهو ((بمثابة نهر يروي الحياة كلها، لذلك يجب على الشاعر ألاّ يسد مجرى هذا النهر الكبير انما لابد له ان يحيا مرة ثانية))[٩٨].. يقول الشاعر محمود الحبوبي: [٩٩]

هلا أعدت عصراً مأترثا تشع في افقه كالانجم الزهر

لاحظ فقد شبه ذلك العصر الزاهي بالعلم والمجد والحضارة يشع كما تشع في الأفق الأنجم الزهر في نورها والشاعر عندما يتوجه الى معطيات موروثه الادبي فانه لا يعمد الى الافادة الجامدة، التي تدخل باب التكرار والتقليد وانما باب الاصالة كما نلاحظ ذلك في قول (محمود الحبوبي)

واسترجع الدهر ما اولاك من نقم فاضت عليك كغيثٍ جدُ منهمرِ

كان الشاعر قد اعتمد في تكوين صورته على ما اختزنه من خيال حينما صور الآلام والمصائب والتي نزلت بكثرة على الأمة كما ينزل الغيث المنهمر. ولو انه لا وجه للشبه من حيث فائدة المطر، وإنما أراد الشاعر أن يقول من حيث الكثرة.. ويقول جواد (الشبيبي) [١٠٠]

ابعد هارون وبعد الكفاة تلوح في افقك هذي الدمى

فقد شبه هؤلاء الذين حكموا (بغداد) بعد هارون مثل الدمى التي تحركها أيدي خفية... ويقول الشاعر علي الشرقي في نفس المعنى[١٠١]:

لا رشة للصقر في أندلس والشام لم يبق لها إلا الزغب

لقد ذكر كلمة (الصقر) وهذا هو اللقب الذي أطلق على الخليفة الأموي عبد الرحمن الداخل. فقد شبه بالصقر أي لم يبق من هؤلاء العظام في الأندلس أحد ولم يبق في الشام منهم إلا هؤلاء الذين شبههم بالزغب (هذا الريش الصغير في الطائر).

يقول أيضاً محمد جمال الهاشمي[١٠٢]:

إن تاريخك المعطر تسلـــو انفس البائسين في نفحاته
ذاك عهد الرشيد يلمح كالفجر تشع العصور في ذكرياته
وليالي الأمين تضفي على الأيا م ظلاً يـرق في لذاتـه

فقد شبه ذلك التاريخ الناصع بهذه النسمة العطرة التى تسلو نفس البائسين بها عند مرورها. كما شبه (عهد الرشيد) بالفجر لنوره الوضاء يشع على جميع العصور في ذكرياته وشبه ليالي الأمين بالأشجار التي تضفي ظلاً على الأيام يرق في لذاته.. فقد اعتمد الشعراء العراقيون في اكثر مجازاتهم على الموروث الشعري كما ذكرنا سابقاً.ويذكر الشاعر كلوديل في أهمية الموروث والربط بين نتاج الشاعر المعاصر وعلاقته بأسلافه الشعراء((إن تقدير الفن والفنان إنما هو تقدير للعلاقة التي تربطه بالشعراء والفنانين الموتى)) [١٠٣] ويؤكد ت. س اليوت في ولاء الشاعر للغة التي يرثها من الماضي أن يحافظ عليها وينميها((إن ولاء الشاعر يجب أن يكون للغة التي يرثها من الماضي والتي يجب أن يحافظ عليها وينميها)) [١٠٤] لهذا يكون الاطلاع إلى المورث الأدبي ضروري للشاعر وقد عبر عن ذلك هارت كرين بقوله: ((لعمري إنها عملية شاقة، فعلى الإنسان أن يغرق نفسه في الألفاظ – أن يقوي فيها حقيقة لا مجاز– حتى يتشكل اللائف المناسب منها في الصورة المنشودة في الوقت المناسب)) [١٠٥] .

فنحن لا نريد من الشاعر المعاصر أن ينسى الماضي وبخاصة الماضي الشعري الذي نحن بخصوصه – الذي لا يمكن فصله عن ذات الشاعر ومخيلته وثقافته بشكل عام فالموروث الأدبي سيظل يرافق الشاعر ويضيف إليه عدداً من الروافد والقيم الفنية التي تكون الصورة جزء منها على ان تكون العودة الى القيم الفنية الموروثة ليست إكفاء أو رجعة إنما هي احياء لكل ما أوثر عن الماضي الشعري من معطيات فنية ايجابية وهي تطوير لفن الشعر كما انها اضاءة وتعميق لرؤية الشاعر واحساسه بالاستمرار والتواصل الفنى[١٠٦].. كما يقول الجواهري [١٠٧] :

كأن على بغداد مما أفضته من المجد أذيالاً من التيه تسحب

فقد أفضت على (بغداد) من المجد حتى بقي سنين وسنين تسحب من الكبرياء والعزة والشموخ بعد ذلك الزمن.. ثم يقول:

فمن مخبر المستنصرية أننا نعود اليها من جديد وندأب

فقد شبه المستنصرية بشخص يراد اخباره بعودة ذلك المجد بالعلم والمعرفة. الى ان يقول:

أعد رونق المستنصرية انه لرونق بغداد إطاراً مذهب

لقد شبه المدرسة المستنصرية بأنها إطار مذهب لانها المجد والعلم والمعرفة وشبه(بغداد) بلوحة فنية رائعة يحيط بها هذا الاطار المذهب.. ويقول الشاعر الشبيبى:

رهنتك يا (بغداد) قلبي ومن تكن رهينة قلباً بـ((بغداد)) يقلق

انها صورة تنبض بالحياة والعاطفة لان عاطفته مخزونة في ذلك القلب المرهون في(بغداد) وهذا دليل على شدة حبه (لبغداد) وعادة الذي يرهن هو شيء مستقل ومنفرد، ولكنه ذكر الجزء وأراد الكل.. كما يقول:

علا الشيب آمالي ولم يعلُ عارضي وبيض قلبي قبل تبيض مفرقي

ويظل الشاعر العراقي يتمنى عودة الوحدة العربية عندما قال في بداية قصيدته (هما وطن فرد وقد فرقوهما) حيث تبقى هذه الآمال يطلبها الشاعر لامته، ووطنه، ولكن شابت آماله قبل ان يشيب عارضه– فكأنما الآمال شخص وقد علا الشيب عارضه. وجعل القلب كالرأس حين يصبح ابيض المفرق من شده التفكير.. واذا كانت القصيدة بناءً ذاتياً محضاً لا تعبر الا عن عالم صاحبه وكونه الشعري، وان الصورة هي روح ذلك البناء وكيانه الفني لانها أي الصورة هي الشكل الراقي للغة الانفعالية والعاطفية التي تصور ذلك الكون الخاص لذا نجد الشعراء العراقيين حينما تجيش العاطفة بهم وتنقاد لها الكلمات كلما ابتعد الشاعرعن وطنه وحنّ إليه يذكر (بغداد) ودجله الخير يقول الجواهري[١٠٨]:

حييت سفحك ظمآناً ألوذ به لوذ الحمائم بين الماء والطين

فقد يبعث التحية لدجله من بعد، وهو ظمآن لمائها العذب ولرؤيتها. فقد شبه نفسه بالحمام عندما يلوذ بين الماء والطين مثلما يلوذ الشاعر بين (بغداد) والمكان الأخر الذي يتحصن به ويقول ايضاً:

وأنت يا قارباً تلوى الرياح به لي النسائم أطراف الافانيني

صورة للقارب وهو يسير في النهر وهي صورة حيه واقعية رسمها لنا الشاعر بريشته عندما نحركه النسائم، كما تحرك أطراف الأغصان.. وهذه صورة اخرى لدجلة يرسمها لنا الجواهري فيقول [١٠٩]

ودجله حين تصقلها النعامى كما مسحت يد خداً صقيلا

فى كثرة حركة النعامى على نهر دجلة وهي في حالة الاطمئنان يشبهها باليد عندما تمسح خداً صقيلا، وكانها تصقل دجلة وتجلوها.. وانظر الى هذه الصورة التي رسمها الشاعر (كاظم الخلف) لدجله ايضاً: (١١٠)

وتنساب بين الورد والزهر مسرعاً كما انساب من خوف على الأرض ثعبان

لاحظ هذا التشبيه في جريان النهر مسرعا بين الورد والزهر وبين الحقول، كما تزحف الثعبان الخائفة بسرعة.. وقد نجد هذه القصائد منتزعة من رؤية الشاعر العراقي ومواقفه وتفاؤله، في أن (بغداد) تبقى شامخة وعاليه ومهما تشتبك عليها الاعصر، فانها تذوي ويبقى وريق عمر بغداد اخضر. فقد شبه بغداد بالغصن الدائم الخضرة. فيقول(١١١):

بغداد ما اشتبكت عليك الاعصر
الا ذوت ووريق عمرك اخضر
مرت بك الدنيا وصبحك مشمس
ودجت عليك, ووجه ليلك مقمر
وقست عليك الحادثات ...فراعها
ان احتمالك من أذاها اكبر

ان من سمات الشاعر العراقي في هذه المرحلة عنايته التامة بالجزيئات ومحاولته الاحاطة بكافة تفاصيل الفكرة او الحدث او الصورة، منها هو يذكر (بغداد) ولكن بصور مختلفة، ففى البيت الاول تتشابك الاعصر على (بغداد) وجميعها تذبل وتبقى اوراق غصن (بغداد) اخضر ودائم الحياة, ومرة اخرى يرى صبحها دائما مشمس والليل مقمر رغم ما مر بها من عهود الظلام, وقست عليك الحوادث فخافها من ان احتمالك من أذاها أكبر.. ثم يقول:(١١٢)

حتى إذا جنت سياط عذابها
راحت مواقعها الكريمة تسخر

حيث جعل لمواقع السوط حياة تتحرك وتتكلم وتسخر من وقع ذلك السوط فكأن السوط يبعث في جسد المناضل الشجاعة والقوة وليس العذاب.. إنها قصيدة انفعاليه لا تخلو من توتر في هذه الصور الذهنية. فقد استطاع الشاعر العراقي أن يكوّن عن طريق المجاز أو الاستعارة هذا البناء الصوري.

المصادر والمراجع

١- الاتجاه القومي في الشعر العراقي الحديث – حسن الدخيل – (رسالة ماجستير) – كلية الآداب – جامعة بغداد .
٢- الأدب الجديد – محمد جمال الهاشمي – النجف .
٣- البيان والتبيين – الجاحظ – تحقيق عبد السلام هارون القاهرة ١٩٨٥ .
٤- تطور الشعر العربي الحديث في العراق – علي عباس علوان وزارة الثقافة والإعلام – بغداد .
٥- التفسير النفسي للأدب – عز الدين إسماعيل – دار المعارف – مصر / ١٩٦٣ .
٦- الحيوان – الجاحظ – تحقيق عبد السلام هارون – القاهرة .
٧- الجواهري في العيون من أشعاره – دمشق – ١٩٨٦ .
٨- دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني .
٩- دير الملاك – محسن اطميش ط٢ الشؤون الثقافية بغداد ١٩٨٦ .
١٠- ديوان الجواهري – محمد مهدي الجواهري جمع وتحقيق د . إبراهيم السامرائي وآخرون – وزارة الثقافة والإعلام – بغداد ١٩٧٣ .
١١- ديوان الجعفري – صالح الجعفري - وزارة الثقافة والإعلام بغداد ١٩٨٥ .
١٢- ديوان الشبيبي – محمد رضا الشبيبي – القاهرة – ١٩٤٠ .
١٣- ديوان عبد الغني الخضري – المطبعة الحيدرية العراق النجف – ١٩٥٢ .
١٤- ديوان علي الشرقي – جمع وتحقيق إبراهيم الوائلي وآخرون وزارة الثقافة والإعلام – بغداد – ١٩٧٩ .
١٥- ديوان عيناك واللحن القديم – مصطفى جمال الدين .
١٦- ديوان الفرطوسي – عبد المنعم الفرطوسي – مطبعة الغري الحديثة النجف – ١٩٦٦ .
١٧- ديوان محمود الحبوبي – دار التأليف والنشر . النجف ١٩٤٨ .
١٨- الشاعر الثائر – عبد الرزاق الهلالي . بغداد . ١٩٦٥ .
١٩- الشبيبي الكبير – حمود حمادي – النعمان . بغداد ١٩٧٢ .
٢٠- شعراء الغري – علي الخاقاني – المطبعة الحيدرية – النجف ١٩٥٥ .

٢١- الشعر كيف نفهمه ونتذوقه – إليزابيث درو ترجمة محمد إبراهيم الشوش – مكتبة منيمنة – بيروت ١٩٦١ .
٢٢- شعر الصافي النجفي بين التقليد والتجديد – حاتم الساعدي (رسالة ماجستير) جامعة القاهرة ١٩٧٩ .
٢٣- الصورة الشعرية – س . دي . لويس ترجمة أحمد نصيف الجنابي وآخرون – مراجعة د. عناد غزوان – دار الرشيد بغداد / ١٩٨٢ .
٢٤- الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني – أمين الحمصي – منشورات جامعة قار يونس – بنغازي . ١٩٩٥ .
٢٥- قضايا النقد الأدبي المعاصر – محمد زكي العشماوي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الإسكندرية – ١٩٧٥ .
٢٦- معجم مصطلحات الأدب – مجدي وهبة – مكتبة لبنان / بيروت ١٩٧٤ .
٢٧- مفهوم الشعر – جابر عصفور – دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة – ١٩٧٨ .
٢٨- مقدمة لدراسة الصورة الفنية –نعيم اليافي – دمشق – ١٩٨٢ .
٢٩- مستقبل الشعر وقضايا نقدية – دار الشؤون الثقافية العامة / بغداد / ١٩٩٤ . بحث الصورة في القصيدة العراقية الحديثة د . عناد غزوان .
٣٠- نقد الشعر في العراق بين التأثرية والمنهجية د . عناد غزوان ندوة الأدب في الخليج ١٩٨٨ .

الهوامش

١- الاتجاه القومي في الشعر العراقي الحديث , حسن الدخيل : ٩٦ .
٢- ديوان الجواهري : ٧ / ٢١٩ .
٣- ديوان الفرطوسي : ٢ / ٨٢ .
٤- ديوان عبد الغني الخضري : ١١ .
٥- ديوان الشبيبي : محمد رضا الشبيبي : ٤٢ .
٦- المصدر نفسه : ٣٣ .
٧- الشاعر الثائر – عبد الرزاق الهلالي : ١٢٧ .
٨- ديوان الحبوبي : محمود الحبوبي : ٢٢ .
٩- ديوان علي الشرقي : ١٩٩ – ٢٠٠ ينظر صفحة : ٢٨٦ .
١٠- الشبيبي الكبير : حمود حمادي : ٢٩٥ .
١١- ديوان الجعفري : ١ / ٨٩ .
١٢- شعراء الغري : علي الخاقاني ٦ / ٤٨١ .
١٣- المصدر نفسه : ١١ / ٣٠ .
١٤- الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني , أمين الحمصي : ٤٧ .
١٥- المصدر نفسه : ١٣٩ .
١٦- ديوان الوائلي : إبراهيم الوائلي : ٢ / ٧٣ – ٧٧ .
١٧- الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني : .
١٨- ديوان الجواهري : ٥ / ٢٩٩ .
١٩- الجواهري في العيون من أشعاره : ٦٨٢ .
٢٠- المصدر نفسه : .
٢١- شعراء الغري : ٧ / ٢٠٣ – ٢٠٤ .
٢٢- ديوان عيناك واللحن القديم – مصطفى جمال الدين : ٢١ – ٢٤ .
٢٣- الأدب الجديد , محمد جمال الهاشمي : ١٤٩ .
٢٤- الحيوان – الجاحظ : ٣ / ١٣١ .
٢٥- البيان والتبيين - الجاحظ : ١ / ٦٧ .
٢٦- الصورة في القصيدة العراقية – عناد غزوان : ١١٦ في مستقبل الشعر وقضايا نقده .
٢٧- نقد الشعر – قدامة بن جعفر : ١٧ .
٢٨- الصورة في القصيدة العراقية : ١١٦ .
٢٩- دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني : ١٧٥ .

٣٠- الصورة في القصيدة العراقية : ١١٦ .
٣١- مقدمة لدراسة الصورة الفنية – نعيم اليافي : ٦٥ .
٣٢- الصورة الشعرية – س . دي . لويس ترجمة أحمد نصيف / ٢٣ .
٣٣- معجم مصطلحات الأدب – مجدي وهبة :١٧١ .
٣٤- التفسير النفسي للأدب – عز الدين إسماعيل :٧١ .
٣٥- قضايا النقد الأدبي المعاصر : محمد زكي العشماوي : ٢٣٢ .
٣٦- الشعر كيف نفهمه ونتذوقه – إليزابيث درو : ١٢٦ .
٣٧- الصورة الشعرية : ٤٠ .
٣٨- قضايا النقد الأدبي المعاصر : ٢٤٢ .
٣٩- الصورة الشعرية :٢٣ .
٤٠- مقدمة لدراسة الصورة الفنية : ٧٤ .
٤١- المصدر نفسه.
٤٢- الصورة الشعرية : ٢٦ .
٤٣- الشعر كيف نفهمه ونتذوقه : ٥٩ .
٤٤- المصدر نفسه .
٤٥- الصورة الشعرية في القصيدة العراقية : ١١٨ .
٤٦- المصدر نفسه .
٤٧- الصورة الشعرية : ٢٦ .
٤٨- الصورة الشعرية في القصيدة العراقية : ١١٨ .
٤٩- نقد الشعر في العراق بين المنهجية والتأثرية – د. عناد غزوان : ٩ .
٥٠- شعر الصافي النجفي بين التقليد والتجديد : حاتم الساعدي : ٥٤ .
٥١- الجواهري في العيون من أشعاره : ٦٨٢ .
٥٢- ديوان الجواهري: ٢١٩/٧ .
٥٣- ديوان الجواهري : ٣ / ٢٥٩ .
٥٤- تطور الشعر العربي الحديث . علي عباس علوان ٣٢٧ .
٥٥- ديوان الجواهري : ٣ / ٢٦٢ .
٥٦- تطور الشعر العربي : ٣٢٧ – ٣٢٨ .
٥٧- مفهوم الشعر : جابر عصفور – ٨٠ .
٥٨- دير الملاك : محسن اطيمش – ٢٢٢ .
٥٩- ديوان الحبوبي : ٢٢ .
٦٠- الشبيبي الكبير : ٢٩٥ .
٦١- ديوان علي الشرقي : ١٩٩ - ٢٠٠ .

٦٢- شعراء الغري : ١١ / ٣٠ .
٦٣- دير الملاك : ٢٢٢ .
٦٤- الشعر كيف نفهمه ونتذوقه : ٢٤ .
٦٥- المصدر نفسه .
٦٦- دير الملاك : ٢٢٢ .
٦٧- ديوان الجواهري : ٥ / ٣٥ .
٦٨- ديوان محمد رضا الشبيبي : ٤٢ .
٦٩- الجواهري في العيون من أشعاره : ٤٢٧ – ٤٣٤ .
٧٠- ديوان الجواهري : ٥ / ٢٩٩ .
٧١- شعراء الفري : ٧ / ٢٠٤ .
٧٢- عيناك واللحن القديم : ٢١ – ٢٤.
٧٣- دور الأديب العربي – محمد خلف الله أحمد : ٦.
٧٤- دور الأديب العربي – د. عناد غزوان : ٣
٧٥- المصدر نفسه .
٧٦- مقالة الأدب والشعور القومي من خلال القضية الفلسطينية، د.عمر الطالب:٣٣١.
٧٧- آفاق في الأدب و النقد ، د. عناد غزوان : ١٥٢-١٥٣.
٧٨- الديوان : ١ / ٤٧٣-٤٧٥ .
٧٩- الديوان : ٣٤١/٢-٣٤٢.
٨٠- الديوان : ٣ / ١٣١ – ١٣٤ .
٨١- دور الأديب في المعركة ضد الصهيونية والاستعمار– محمد عبد الله اليعقوبي: ١٥.
٨٢- فلسطين في الشعر النجفي – محمد حسين الصغير : ١٢٤ .
٨٣- الديوان : ٣ / ٣١٩ – ٣٢٥
٨٤- الديوان : ٣ / ١٨٩ .
٨٥- الديوان : ٥ / ٢٥٢ – ٢٥٨ .
٨٦- الديوان : ٥ / ٢٩٣-٢٩٧.
٨٧- الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطيني – كامل السوافيري : ٥٨٦.
٨٨- الديوان : ٤ / ١١٥ – ١٢٣.
٨٩- التضمين من المتنبي مع التقديم و التأخير و بيت المتنبي هو: لقد تصبرت حتى لات مصطبر فلآن أقحم حتى لات مقتحم .
٩٠- الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث – محمد شحاتة عليان / ٧ .
٩١- الشعر كيف نفهمه و نتذوقه – اليزابيث درو – ١٢٥ .
٩٢- المصدر نفسه.

٩٣-قضايا النقد الأدبي المعاصر – زكي العشماوي : ٣١ .
٩٤-الشعر كيف نفهمه و نتذوقه – ٨٢ .
٩٥-المصدر نفسه .
٩٦-المصدر نفسه.
٩٧-الصورة و البناء الشعري ، محمد حسن عبد الله : ٢٩ .
٩٨-مقدمة لدراسة الصورة الفنية – نعيم اليافي : ٣٩ .
٩٩-قضايا النقد الأدبي المعاصر : ٣١ .
١٠٠-في الأدب و النقد الأدبي ، سعيد الورقي : ٥٢ .
١٠١-نقد الشعر في العراق بين التأثيرية و المنهجية ، د. عناد غزوان : ٢٥
١٠٢-الديوان: ٣ / ١٣١ .
١٠٣-الشعر كيف نفهمه و نتذوقه : ١٨ .
١٠٤-تطور الشعر العربي الحديث في العراق ، د. علي عباس علوان: ٣١٥ – ٣١٧ .
١٠٥-المصدر نفسه : ٣١١ .
١٠٦-المصدر نفسه
١٠٧-الديوان : ٣ / ٣١٥ .
١٠٨-تطور الشعر : ٣١١ – ٣١٢ .
١٠٩-الديوان : ٣-٢٥٩ – ٢٦٠ .
١١٠-تطور الشعر : ٣١٣ – ٣١٤
١١١-المصدر نفسه .
١١٢-انظر مقالة إبراهيم السامرائي (الجواهري واللغة) في لغة الشعر بين جيلين: ١١٢ – ١٢٦.